إمبراطورية جستنيان



تأليف

دكتورة اسمت غنيم

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

جامعة الملك عبد العزيز

الناشر دار المجمع العلمي بجدة

١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م

امبراطورية جستنيان

تأليف
دكتورة إسمت غنيم
استاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
جامعة الملك عبد العزيز

الناشر : دار المجمع العلمي بجدة
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

المحتويات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لعل أنسب اسم يطلق على الدولة الرومانية الشرقية فى الفترة الزمنية الممتدة من عام ٥٢٧ — ٥٦٥ م هو « امبراطورية جستنيان » لأن هذه الإمبراطورية لم تكن هى نفسها الإمبراطورية الرومانية القديمة ، كما أنها لم تكن كذلك الإمبراطورية البيزنطية بحدودها التى عرفت بها خلال الشطر الأكبر من العصور الوسطى ، بل إنه لم تمض على وفاة جستنيان أكثر من ثلاث سنوات حتى تغيرت حدود هذه الإمبراطورية بالفتح اللومباردى لشمال إيطاليا .

فهذه الإمبراطورية امتدت بفضل جهود جستنيان واستمرت قائمة طوال عهده ، وبدأت حدودها تتغير بعد وفاته .

والواقـــع أن جستنيان يحتل مكانة خاصة فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فهو الإمبراطور الرومانى الشرقى ، ذو الأفكار والميول اللاتينية الغربية ، ومن ثمة فقد اختلف المؤرخون المعاصرون والمتأخرون زمنيا فى تقييم هذا الإمبراطور بأفكاره ومبادئه السياسية ، وما بذله فى سبيل الإمبراطورية من جهود . أنصفه فريق منهم وهم قليلون ، واتهمه الفريق الآخر وهم الأغلبية ، رفعه بعضهم إلى القمة، وهوى به البعض منهم إلى الحضيض .

وفى هذا البحث نحاول أن نصل إلى الحقيقة التاريخية المجردة عن هذا الإمبراطور، والإنجازات التى حققها للإمبراطورية خلال حكمه.

ويرجع الفضل فى تسجيل الأحداث التاريخية الخاصة بعصر جستنيان إلى اثنين من المؤرخين المعاصرين، هما بروكوبيوس Procopius، وأجاثياس Agathias ويتمى بروكوبيوس فى الأصل إلى مدينة قيصرية فى فلسطين، وقد رافق القائد بليزاريوس أثناء حملاته العسكرية، وكان شاهد عيان لمعظم الأحداث التى رواها فى مؤلفه الذى يعرف باسم «التاريخ السرى» Arcana Hisoria، ويعطى فيه تفصيلا لحروب جستنيان ضد الفرس، الواندال، القوط، ومختلف الأحداث حتى سنة ٥٥٤ م. كما ضمنه كذلك قذفاً على جستنيان وثيودورا وبليزاريوس وزوجته. ولذلك لم ينشر هذا الكتاب أثناء حياته. ويقول المؤرخ رانسيمان إن «بروكوبيوس وإن كان كتابه المعنون «التاريخ السرى» إنما هو مجموعة شتى من الخوض فى السير والأعراض، إلا أنه ينبغى أن يوضع بسبب ما دونه عن حروب الإمبراطور. فى مصاف عظماء المؤرخين فى جميع العصور، فقد كانت لغته قوية، وحكمه واضحا، ووصفه للأشياء حيا»(١).

ولبروكوبيوس كتاب آخر عن المبانى والحصون يسمى De Aedificiis والغالب أنه كتبه فى الفترة من ٥٥٣ — ٥٥٥ م. وقد أتى فيه على

---

(١) Runciman, S.: Byzantine Civilisation, Seventh impression, 1975, p. 243.

Dolger, F. : Byzantine Literature, C. M. H. vol. IV, part II, ed. Hussey, 1967, p. 228.

الإمبراطور جستنيان لإنشائه العديد من المبانى اللازمة لكل الأغراض من الكنائس حتى القناطر والتحصينات(١) .

أما معاصرة المتأخر أجاثياس(٢) الذى ولد فى عام ٥٣٦م وتوفى فى عام ٥٨٢ م ، فهو كذلك مؤرخ مرموق ، ولكنه كان على نقيض بروكوبيوس فقد كان شاعراً ،وكثيراً ما كان استعماله للأسلوب البلاغى يطغى على كتابته، ويغلف معانيه بغشاوة كالضباب أحيانا .

وتاريخه الذى يعرف باسم Historiarum دون فيه الأحـــداث التى وقعت فى الفترة الزمنية الممتدة من عام ٥٥٢ — ٥٥٨م ، ثم أكمل الأحداث من عام ٥٥٨ — ٥٨٢م . وقد نشر مؤلفه هذا فى مجموعة بون البيزنطية Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae التى نشرت فى عام ١٨٢٨ م فى ألمـانيا .

كذلك كانت الاستفادة كبيرة من الطبعة الجديدة لمجموعة كبردج للعصور الوسطى Cambridge Medieval History التى أشرفت على نشرها الأستاذة جوان هسى Joan Hussey ، أستاذة تاريخ العصور الوسطى بجامعة لندن ، وظهرت هذه الطبعة الجديدة فى عامى ١٩٦٦ — ١٩٦٧ . ويختص الجزء الرابع منها بالتاريخ البيزنطى ، وينقسم إلى مجلدين ، الأول خاص بالتاريخ السياسى ، والثانى خاص بالتاريخ الحضارى للدولة البيزنطية .

---

(١) Dolger : op. cit. p. 228.

(٢) فيما يتعلق بأجاثياس انظر :

Runciman : op. cit., p. 243.
Dolger : op. cit., p. 228.

هذا بالإضافة لمؤلفات فازيلييف Vasiliev واستروجورسكى Ostrogorsky ورانسيمان Runciman ، وغيرهم من المؤرخين الغربيين .

كذلك بعض المؤلفات العربية التى ظهرت فى تاريخ الدولة البيزنطية ، وأهم ما يذكر منها : مؤلفات الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق ، والأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى ، والأستاذ الدكتور أسد رستم .

ولعلنى بهذا البحث أكون قد أضفت شيئاً جديداً إلى المكتبة العربية ، يمكن أن يقدم الفائدة العلمية للباحثين فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية .

والله الموفق ..

١٢ أبريل ١٩٧٧ إسمت غنيم

الفصل الأول

المؤثرات المحيطة بجستنيان

ـ آراء بعض المؤرخين فى جستنيان .

ـ أهم مستشارى ومعاونى الإمبراطور :

تيودورا

نارسيس

بليزاريوس

تريبونيان

ـ المشاكل الداخلية التى واجهته فى بداية عهده .

يقول المؤرخ فيشر عن جستنيان: « إن امبراطوراً طفحت دخيلته بالغيرة وامتلأ رأسه بالغرور، واتصفت أخلاقه بالتردد، وهو مع ذلك لا يتهيب الدخول فى مشروع مهما عظم، ولا يستصغر عملا من أعمال الإدارة مهما صغر، ولا يستهين طيرة مهما هانت، ولا يعتبر أمراً بعيد المنال مهما بعد، لا يستطيع أن يثير الإعجاب فى نفس أحد »(١).

ولم يكن هذا هو الانتقاد الوحيد الذى تعرض له جستنيان من جانب المؤرخين، فقد تعرض هذا الإمبراطور للكثير من النقد، وخاصة فيما يتعلق بأفكاره السياسية الخاصة باستعادة السيادة الرومانية على الأقاليم الغربية التى استولى عليها البرابرة الجرمان، واعتبروا سياسته فى هذا المجال وهماً عسير التحقيق، باهظ التكاليف، وأنها كانت ترفاً وضرراً، وأن ضررها كان أكثر من نفعها، وأن جهوده العسكرية فى الغرب كانت من أجل تحقيق أطماعه الشخصية، وأنه رغم أن حروبه فى الغرب قد كلفت الإمبراطورية الكثير من المال والرجال، إلا أن نتائجها لم تكن دائمة، وأن فتوحاته هذه قد انهارت بعد وفاته .(٢)

---

(١) فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، ص ٥٨ .

(٢) Vasiliev : History of the Byzantine Empire, vol. I, pp. 141—142.

فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ص ٥٢ — ٥٣ .

ديل : بيزنطة ، عظمتها واضمحلالها، ملحق بكتاب بينز ، الامبراطورية البيزنطية، ترجمة د. حسين مؤنس ص ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص

وقبل أن نناقش هذه الآراء ، ونوضح مدى صحتها ، يجب أن نستعرض عصر هذا الإمبراطور وجهوده فى الداخل والخارج ، والإنجازات التى حققها للإمبراطورية حتى يكون حكمنا صحيحاً مبنيا على الحقائق التاريخية الواضحة .

يرجع الفضل فى ظهور جستنيان على مسرح الأحداث السياسية إلى خاله جستين الذى تختلف الآراء فيما يتعلق بأصله ، فالبعض ينسبه إلى الأصل الصقلبى ، والبعض يقول : إنه من أصل رومانى أو ألبانى ، على أن الأرجح أنه من أصل إيلليرى ، وأنه ولد فى قرية بدريانا Bederiana فى غرب البلقان بالقرب من مدينة اسكوب الحالية بإقليم إيلليريا البلقانى ، الذى بقيت اللاتينية فيه لغة التخاطب بين الناس دون سائر أقاليم البلقان الأخرى .(١)

وكان جستين وضيع الأصل ، أتى إلى العاصمة القسطنطينية ، والتحق بالخدمة فى الجيش حيث أظهر كفاءته كجندى باسل ، فألحق بالحرس الإمبراطورى ، وظل يتقدم حتى أصبح قومس(٢) Comes إحدى فرق الحرس . وكانت كل مؤهلات جستين محصورة فى كونه جنديا باسلا ،

= العريبى : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٩ .
نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٦ .

(١) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ص ١٦٥ — ١٦٦ .
فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٦ .
Runciman : Byzantine Civilisation, p. 35.

(٢) القومس : هو الرائد الذى يقود الفرقة العسكرية المكونة من ثلاثمائة أو أربعمائة جندى . أنظر :
Runciman : Byzantine Civilisation, p. 139.

وجاهلا بكل ما عداها من صفات ، فقد كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، متطفلا على السياسة ، جاهلا علم اللاهوت ، كما كان مسنا حين وقع عليه الاختيار ، بتدبير لا يزال غامضا ، ليتولى العرش بعد وفاة الإمبراطور انستاسيوس فى عام ٥١٨ م .

وقد عاش جستين حتى صار إمبراطوراً دون أن ينجب ولداً ، لذا فقد تبنى ابن أخت له من إقليم إليريا كذلك ، وأطلق عليه اسم رومانى هو جستنيانوس Justinianus ، وهو ريفى الأصل مثله استقدمه فى حداثته إلى القسطنطينية ، وعنى بتثقيفه وتهذيبه ، وكانت اللغة الأصلية لجستنيان هى اللاتينية ، ولكنه كان يتكلم اليونانية بلهجة رديئة . وحين تولى جستين العرش كان جستنيان قد أنهى دراسته ، وأصبح على دراية كبيرة بالسياسة وكافة الشئون اللازمة لمن يعمل فى الحكم ، وصار الساعد الأيمن لخاله ، وفى ٥٢٥ أضفى عليه لقب قيصر Caesar ، وفى ٤ أبريل ٥٢٧ منحه لقب Augustus وأعلنه خليفته على العرش البيزنطى[١] .

وبعد أن توفى جستين فى ٥٢٧ م ، تولى جستنيان الحكم ، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره ، صهرته الخبرة ، وحنكته التجارب ، وقد أولى عناية كبيرة لكل الأعمال فى الدولة ، فكان يرى أثناء الليل مكبا على دراسة التقارير التى يرفعها إليه الموظفون بالدولة ، أو يرى وجميع من

---

(١) أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ص ١٦٦ — ١٦٧ .
عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٤٤ .

بالقصر نائمون وهو يذرع أبهاءه جيئة وذهاباً ، مفكراً فى شئون الدولة حتى وصفه أحد رجال بلاطه بأنه « الإمبراطور الساهر »(١) .

وكان جستنيان شديد الإعجاب بمواهبه ومؤهلاته ، شديد الثقة فى عظمته ولكنه رغم هذا كان يحترم آراء مساعديه ومستشاريه ، وكان أهمهم زوجته ثيودورا ، والقائدان اللامعان نارسيس وبليزاريوس اللذان حقق جستنيان عن طريقهما الكثير من الانتصارات والفتوحات للإمبراطورية ، وتريبونيان الساعد الأيمن للإمبراطور فى مجال التشريع .

وفيما يتعلق بثيودورا ، فهى ابنة لأحد القيارصة ، وكان أبوها يعمل مروضاً للدببة بالسيرك . وقد ولدت ثيودورا بالقسطنطينية فى عام ٥٠٠ م . وفى سنوات عمرها المبكرة عملت ممثلة على المسرح ، وفى هذا الجو الملىء بالفساد والانحلال ، انحرفت ثيودورا التى عرفت بالجمال والرشاقة والذكاء وسرعة الخاطر ، وكانت ثيودورا على حد تعبير المؤرخ المعاصر بروكوبيوس مصدر التسلية بالقسطنطينية ، كما كانت مصدر العار لها كذلك . ويستطرد بروكوبيوس قائلا : إن كل من كان يلتقى بثيودورا فى الطريق يأنف من الاقتراب منها ، ويسارع بالابتعاد عنها ، وهكذا عركت ثيودورا طول الرحلة ، وكثرة الشقاء ، فترك ذلك تأثيره فى شخصيتها .(٢)

على أن المؤرخ فازيلييف Vasiliev يوضح أن بروكوبيوس كان

---

(١) Procopius : Historia Arcana, pp. 80 — 81.
عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٤٥ .

(٢) Procopius : Historia Arcana, ed. J. Havry, pp. 60—61.

حريصاً على أن يسيء إلى سمعة جستنيان وثيودورا ، وهو لهذا راو مغرض يجب أن نتقبل روايته بشيء من الحذر(١)

ومهما يكن ، فإن ثيودورا لم تلبث أن هجرت العاصمة ، وسافرت إلى شمال إفريقية حيث أمضت هناك عدة سنوات ، ثم عادت وهى مختلفة تماماً عن شخصيتها الأولى ، فقد اتصفت بالتعقل والاتزان ، وابتعدت عن المسرح ، واعتزلت الناس ، وأبدت اهتماماً كبيراً بالمسائل الدينية ، وأمضت وقتها فى غزل الصوف ، وقد رآها جستنيان وهى على هذه الصورة ، فبهره جمالها ، ونقلها إلى القصر الإمبراطورى ، وأنعم عليها بلقب شرف وهو : بطريقة Patricia ، ثم تزوجها فى عام ٥٢٢ م(٢).

ومنذ تزوجها جستنيان ، وحتى وفاتها فى ٥٤٨ م وهى تمارس نفوذاً كبيراً على زوجها ، حتى يمكن القول : إن الإمبراطورية فى تلك الفترة كان يحكمها جستنيان وثيودورا معاً ، وقد أثبتت كفاءة ممتازة ، ومقدرة كبيرة فى تصريف شئون الدولة ، ويعود إليها الفضل فى احتفاظ جستنيان بعرشه بعد أن وقفت بحزم وصمود أمام تلك الزوبعة التى كادت تقضى عليه ، والتى تمثلت فى الفتنة المعروفة باسم نيقا Nika ، كما سيتضح من عرضنا للأحداث المقبلة

(١) Vasiliev : History of the Byzantine Empire, Vol. I, p. 132.

(٢) Vasiliev : Op. cit., Vol. I., p. 132.

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٧

أما عن نارسيس (٤٧٨ — ٥٧٣ م) فقد ولد فى إرمينيا، وكان طواشياً ضئيل الحجم ، ولكنه لطيف وأنيق المظهر، وكان فى البداية رئيساً للطواشية Sacellarius فى الحرس الإمبراطورى ، ثم أصبح كبير الحجاب :
Praepositus Sacri Culiculi

ونظراً لأنه كان طواشياً ، فقد كان لا يطمع فى العرش الإمبراطورى، وكان ذلك سبباً فى حسن العلاقات بينه وبين جستنيان .

وقد شارك نارسيس فى القضاء على فتنة نيقا فى ٥٣٢ ، كما شارك فى الحروب التى قام بها جستنيان فى إيطاليا ضد القوط الشرقيين مع زميله بليزاريوس . وفى عام ٥٣٩ استدعى نارسيس إلى القسطنطينية ، ثم غادرها فى صيف ٥٥١ على رأس القوات التى ذهبت إلى البلقان لمقاتلة قبائل الهون والجبيد واللومبارد . وفى نفس العام ذهب إلى إيطاليا لمواصلة القتال ضد القوط الشرقيين بقيادة زعيمهم توتيلا Totila الذى هزمه نارسيس ، ثم واصل حروبه فى شمال إيطاليا ضد الألمان والفرنجة والبرجنديين الذين هاجموا شمال إيطاليا ، وأقر السيادة الإمبراطورية هناك ، وحكم إيطاليا وأبدى الكثير من العنت والظلم تجاه الأهالى ، كما تشدد فى جمع الضرائب منهم ، وفى عام ٥٧٦ استدعاه الإمبراطور جستين الثانى ، الذى عاقبه بعد أن اتهمه بأنه السبب فى إغراء اللومبارد على مهاجمة شمال إيطاليا على أن ما مر به من أحداث فى أواخر حياته لم يحجب عن الأنظار ما بذله من جهود فى خدمة الإمبراطورية وخاصة أثناء حياة الإمبراطور جستنيان(١).

(١) Vasiliev : op., cit., vol. I, pp. 137, 173.

وبالنسبة لبليزاريوس ، فهو يعتبر من أشهر القادة فى التاريخ البيزنطى كله ، ولد فى عام ٥٠٥ م . وكان صديقاً للإمبراطور جستنيان ، كما أن زوجته أنتونينا Antonina كانت صـــديقة للإمبراطورة ثيودورا . وقد بدأ بليزاريوس يلمع فى ميدان العسكرية وهو فى الخامسة والعشرين ، بعد أن أحرز الانتصار على الفرس فى موقعة دارا عام ٥٣٠ م. ثم عين قائدا للشرق ، وفى عام ٥٣٢ تمكن بالتعاون مع نارسيس من القضاء على فتنة نيقا ، ثم أرسله جستنيان فى عام ٥٣٣ إلى شمال إفريقية حيث تم له القضاء على مملكة الواندال بها ، وأسر زعيمهم وعاد به إلى القسطنطينية ، وبعد الاحتفال بانتصاره ، أرسل إلى إيطاليا فى محاولة استعادتها للإمبراطورية من يد القوط الشرقيين على أن العلاقات لم تلبث أن ساءت بينه وبين الإمبراطور جستنيان بعد أن علم أن القوط الشرقيين فى إيطاليا يرغبون فى تتويج بليزاريوس امبراطوراً عليهم ، فاستدعاه جستنيان إلى القسطنطينية بحجة الحاجة إليه لقتال الفرس الذين هاجموا الحدود الشرقية للإمبراطورية. على أن معاودة القوط الشرقيين للحرب ضد النفوذ الإمبراطورى اضطر الإمبراطور جستنيان لإرساله من جديد لإيطاليا ، ثم استدعاه فى عام ٥٤٩ . وفى عام ٥٥٩ قاتل بليزاريوس البلغار الذين هاجموا أسوار العاصمة البيزنطية وأجلاهم عنها .

ونظراً لشجاعة بليزاريوس فى القتال وسيطرته التامة على الجنود رغم تعدد عناصرهم ، ولكرمه وإنسانيته ، فقد تعلق به الجنود لدرجة كبيرة

---

(١) Ostrogorsky : op. cit. pp. 70—73.

J. M. Hy. : Narses, Encyclopedia Britannica, 1965, U. S. A., vol. 16, p. 35.

أثارت مخاوف جستنيان ، مما جعله لا يطمئن إليه ولا يثق به . ومن ثمة فقد اتهمه بالتآمر ضده وتم القبض عليه وسجنه فى عام ٥٦٢ م .

ويقال : إن بليزاريوس قضى الفترة الأخيرة من حياته فى فقر وبؤس، حتى اضطر للتسول بعد أن فقد بصره. ولكن هذه الرواية غير حقيقية ؛ لأن الثابت أن جستنيان عفى عنه فى عام ٥٦٣ م وقربه إليه حتى وفاة الإمبراطور فى ٥٦٥[١] .

وبخصوص تريبونيان Tribonianus ، فقد ولد فى إقليم بامفيليه ، على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، فى أواخر القرن الخامس الميلادى ، وفى البداية اشتغل بمهنة المحاماة فى القسطنطينية ، وكان نبوغه ومهارته فى المحاماة مما لفت نظر جستنيان إليه ، فقربه وصار تريبونيان يتمتع بعطف الإمبراطور ، الذى عينه فى ٥٢٨ فى منصب رئيس دواوين الموظفين .... Magister officiorum وفى سنة ٥٣٠ م عينه وزيراً للقضاء ..... Quaestor Sacripalatii « حارس القصر المقدس » . وفى عام ٥٣٢ عزله من هذا المنصب تنفيذاً لرغبة الجماهير أثناء فتنة نيقا ، لكنه أعاده لمنصبه مرة أخرى فى عام ٥٣٤ م ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته فى ٥٤٥ م .

وقد هاجم المؤرخ بروكوبيوس تريبونيان واتهمه بالرشوة والإلحاد . ويبدو أن اهتمام تريبونيان بالفلسفة ، والفلك ، والتقويم كان وراء هذا

---

(١) Vasiliev : op. cit. vol. I, pp. 135—137.
Ostrogorsky : History of the Byzantine State, pp. 70—73.
T. A. R. : Belisarius, Encyclopedia Britannica, U. S. A., 1965, vol. 3, p. 438.

الاتهام . على أن الاهتمام الأكبر لتريبونيان كان بالقانون ، وقد أوكل إليه جستنيان مهمة الإشراف على الإصلاحات التشريعية التي تمت في عهده[1] .

كان هؤلاء أهم مستشاري ومساعدي الإمبراطور جستنيان الذين اعتمد على مشورتهم وجهودهم ؛ لتنفيذ الإنجازات الضخمة التي تمت في عهده ، وقد ظهرت جهودهم بصورة واضحة منذ بداية عهده وأثناء الفتنة التي حدثت في عام ٥٣٢ م .

تعرف هذه الفتنة باسم نيقا Nika وهي كلمة يونانية معناها "النصر" كان المتظاهرون يهتفون بها أثناء ثورتهم . وإذا بحثنا عن أسباب هذه الفتنة ، وجدنا أنها أسباب متعددة، بعضها ديني نشأ عن اضطهاد من اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح ، وبعضها سياسي، إذ أن أبناء أخ الإمبراطور السابق أنستاسيوس اعتبروا جستين وجستنيان مغتصبين لحقهم في الحكم . وبعض هذه الأسباب كان عاما يتعلق بثقل عبء الضرائب على الشعب .

ذلك أن جستنيان قد اعتمد على تريبونيان في القضاء ، وعلى يوحنا الكبدوكي في الإدارة ، وطغى الإثنان وتجاوزا الحد في ابتزاز الأموال ، وفي فرض الضرائب على الشعب الذي انتفض ثائراً على هذه الأوضاع ، وكان

---

(١) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, pp. 70—75.
Vasiliev : op. cit. vol. I, pp. 142—143.
Runciman : Byzantine Civilisation, pp. 38—75.
J. A. C. T. : Tribonian, Encyclopedia Britannica, vol. 22, p. 466.

أكثر الثائرين هم أفراد حزبى الزرق والخضر ، ولمعرفة المزيد عن هذين الحزبين ينبغى العودة قليلا إلى الوراء حين أسس الإمبراطور قسطنطين الأكبر مدينة "قسطنطينية فى عام ٣٢٣ م . أنشأ بها ملعباً كبيراً عرف باسم الهيبدروم Hippodromius أصبح مسرحاً للسياسة ولجميع مظاهر الحياة العامة فى العاصمة . وكان بالملعب الكاثيسمة Kathisma أى لوج الإمبراطور ، وكان العرش العظيم الذى أقيم فى وسط هذا اللوج ، هو المكان الذى يطل منه الإمبراطور على شعبه فى مختلف المناسبات ، وكان يقام فى الهيدروم مسباق للخيل ، وكان سائقو عربات السباق يتزينون بواحد من أربعة ألوان ، الأخضر أو الأزرق أو الأبيض أو الأحمر . والغالب أنها تقابل العناصر الأربعة المعروفة وهى : الأرض (الخضراء) والماء (الأزرق) والهواء (الأبيض) والنار (الحمراء)(١).

وبمرور الوقت أصبحت هذه الأحزاب الرياضية أحزاباً سياسية واجتماعية ، وانضم البيض إلى الخضر ، والحمر إلى الزرق . فأصبح فى العاصمة حزبان فقط هما : الخضر والزرق . وكان الخضر من الطبقات السفلى الذين كانت تشملهم الإمبراطورة ثيودورا بعطفها ، على حين كان الزرق يمثلون الطبقات العليا فى المجتمع البيزنطى .

ورغم أن هذين الحزبين كانا متنافسين ، إلا أنهما اتحدا ضد جستنيان وقاما بالثورة ، وانطلقا إلى الهيدروم ؛ وخرجت جموعهم منه يخربون

---

(١) Vasiliev : History of the Byzantine Empire, Vol. I, pp. 144—145.

ويحرقون ويصيحون « نيقا » ، وتعرضت أجمل المبانى وأروعها للإحراق والتدمير ، وكانت كنيسة آيا صوفيا ضمن تلك المبانى . واضطر جستنيان لمفاوضتهم ، وعزل تريبونيان ويوحنا الكبدوكى ، ولكن الثائرين لم يهدأوا ، بل نادوا بابن أخ الإمبراطور السابق انستاسيوس امبراطوراً .

وعندما تحرج مركز جستنيان جمع مستشاريه وشاورهم فى الفرار من العاصمة ، وأجمعوا على ذلك . لكن الإمبراطورة ثيودورا خالفتهم فى الرأى وواجهت الموقف فى صمود وشجاعة . وقد أورد المؤرخ بروكوبيوس نص العبارة التى خاطبت بها ثيودورا جستنيان ، قالت : « يستحيل على الفرد وقد جاء إلى هذه الدنيا ، أن يبقى حياً أبد الدهر ، فلابد أنه سوف يموت ، ولكن من يمارس السلطة لا يطيق النفى ، وإن ترغب أيها الإمبراطور أن تنقذ نفسك ، فليس هناك ما يمنعك ، فالبحر قريب ، والسفن مجهزة ، والمال موفور . ولكن تريث قليلا وسل نفسك : ألن تنـــدم بعد فرارك ووصولك إلى ملجأ أمين قد لو كنت آثرت الموت على الأمان ؟ أما أنا فلازلت أتمسك بالمثل القديم الذى يقول : « إن العباءة الإمبراطورية هى خير الأكفان »[1] .

وقد تأثر جستنيان بهذا الموقف الشجاع من جانب ثيودورا ، فأوعز إلى نارسيس بأن يقضى على وحدة المتظاهرين ، فتم التفاهم بينه وبين الزرق ،

(١) Procopius : De bello persico, ed Havry, vol. I, p. 130.
Ostrogorsky : op. cit. pp. 72—73.
Vasiliev: op. cit. pp. 154—157

فى حين أمر بليزاريوس بأن يخضعهم بالقوة . ففاجأهم فى الهيبدروم وفتك بهم فتكاً ، وقتل آلافاً منهم ، أما أقرباء انستاسيوس فقد تم إعدامهم ، وبذلك رسخت أقدام جستنيان وثبتت سلطته(١)

---

(١) بخصوص فتنة نيقا انظر المراجع التالية :

Ostrogorsky : op. cit. pp. 72—73.
Vasiliev : op. cit., pp. 154—157.

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ص ١٧٠ — ١٧١ .

عمر كمال توفيق : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ص ٤٦ — ٤٨ .

العرينى : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ص ٦٩ — ٧١ .

الفصل الثانى

جستنيان والمثالية الرومانية

- للبرابرة الجرمان وكيفية استيلائهم على الممتلكات الرومانية بالغرب .
- استرجاع جستنيان لولايات شمال إفريقية ، إيطاليا ، وأسبانيا .
- الصراع مع الفرس .
- الأخطار التى هددت الجبهة الشمالية .

لقد اتجه جستنيان بأنظاره نحو أقاليم الإمبراطورية فى الغرب ، التى كانت تحت أيدى البرابرة الجرمان ، وبذل كل جهده فى سبيل استرجاع هذه الأقاليم من جديد لسلطان الإمبراطور الرومانى الشرقى ، وكان فى سعيه الحثيث هذا وتصميمه على استرجاع هذه الأقاليم إنما يحقق بذلك المثالية الرومانية(١) .

وقبل أن نعرض للجهود التى قام بها جستنيان لاسترجاع ممتلكات الإمبراطورية الغربية التى استولى عليها الجرمان ، يجدر بنا أن نأخذ فكرة سريعة عن أصل هؤلاء الجرمان ، وعن كيفية سقوط هذه الأجزاء من الإمبراطورية الغربية فى أيديهم .

الواقع أن المعلومات التاريخية عن أصلهم قليلة ، ليست أكثر من أنهم أقوام حلوا أوائل عهدهم بالقارة الأوروبية ونزلوا بشبه جزيرة سكنديناوة ، حيث بقى فريق منهم تفرعت عليه الأمم السويدية والنرويجية والدانية الحالية ، أما الفريق الآخر ، فقد أخذ فى التجول والترحال فى الجنوب الغربى عبر ألمانيا سعياً وراء العيش أو الجو المعتدل ، أو حبا فى المغامرة والحروب ، حتى وصلت فئة منهم إلى حوض نهر الراين ، كما وصلت فئة

---

(١) انظر الفصل الأخير من هذا البحث .

أخرى إلى ضفاف نهر الدانوب وسواحل البحر الأسود . وهذان التياران هما اللذان اصطدمت بهما الدولة الرومانية(١) .

وكان عنصر القوط من تلك الأقوام التى استقرت شمالى البحر الأسود، وهناك انقسموا إلى قسمين : شرقيون وغربيون ، فانتشر الشرقيون فوق السهول الجنوبية لروسيا ، فى حين اتجه الغربيون نحو داشيا والبلقان حيث سمح لهم بالاستقرار فى هذه الجهات .

وقد نتج عن احتكاك القوط بالرومان ، أن اعتنق القوط المسيحية ولكن فى مذهبها الأريوسى عن طريق مبشر منهم يدعى ولفلاس Wulfilas تلقى تعليمه بالقسطنطينية واعتنق المسيحية على المذهب الأريوسى مما أدى إلى انتشار الأريوسية بين القوط ، ثم بين غيرهم من طوائف الجرمان مثل : الواندال والبرجنديين واللمباورديين(٢) . وسيكون هذا المذهب الأريوسى من أهم الأسباب فيما حل بالقوط والواندال من متاعب، وحال دون حسن التفاهم بينهم وبين سكان البلاد الرومان الذين نظروا إليهم على أنهم سادة كفرة ينبغى التخلص منهم ، وسهل على جستنيان مهمة استعادة ولايات الإمبراطورية .

وكانت بداية الاشتباكات العسكرية بين القوط الغربيين والرومان فى النصف الثانى من القرن الرابع حين ضغطت عليهم قبائل آسيوية رعوية هى

(١) فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ص ١٥ — ١٦

(٢) Moss : The Birth of the Middle Ages, p. 44
The goths, p. 61.

قبائل الهون ، فطلب القوط الغربيون من الإمبراطور فالنز (٣٦٤—٣٧٨م) السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون . ورغم استجابة الإمبراطور لهذا الطلب — وخاصة ليتخذ منهم ستارا يحمى به حدود الإمبراطورية من خطر الهون — إلا أنهم لم يلبثوا أن ثاروا وأوقعوا بفالنز الهزيمة وذبحوه فى سهول أدرنة فى ٣٧٨ م . ولم يجد خليفته الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٨ — ٣٩٥ م) بدا من محالفتهم ، وسمح لهم بالإقامة فى شمال تراقيا ، وقد تمتع القوط بسلطتهم المطلقة فى هذا الإقليم ، كما أعفوا من الضرائب مقابل تعهدهم بتقديم الخدمة العسكرية للإمبراطورية[١] .

وقد ظل الهدوء يسيطر على العلاقات بين القوط الغربيين والإمبراطورية الرومانية حتى وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس فى عام ٣٩٥ وانقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين : شرقى ، كان من نصيب أركاديوس ، وغربى ، كان من نصيب هونوريوس .

وعندئذ ثار القوط الغربيون من جديد ، وجرت وقائع كثيرة بينهم وبين جيوش الإمبراطورية[٢] ، حتى اقتحموا روما فى ٤١٠ م فنهبوها

(١) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 48.

(٢) بشأن المزيد من التفاصيل انظر :

Vasiliev : op. cit. vol. I, p. 116.

Lot : The End of Ancient World, p. 205.

C. M. H. Ed Bury, vol. I, pp. 260—279.

سعيد عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص ص ٦٦ — ٧١ .

وأحرقوا بيوتها . وعندئذ وجد الإمبراطور هونوريوس الذى كان فى عاصمته رافنا أنه لكى يبعد القوط الغربيين عن إيطاليا ، لابد من أن يعطيهم إقليما من أقاليم الإمبراطورية ، فمنحهم إقليم أكوتين من اللوار حتى البرانس ، وكان هذا الإقليم فى عداد الأقاليم الضائعة على الإمبراطورية نظراً لوقوعه تحت سيطرة جموع كثيرة من الجرمان مثل : الواندال واللان والسويفى ، وهكذا دخل القوط الغربيون فى صراع مرير مع هذه العناصر حتى تمكنوا فى النهاية فى عام ٤٢٩ من تخليص المنطقة الممتدة من تولوز على نهر الجارون إلى أسبانيا واستخلاصها لأنفسهم ، وظلوا بها حتى عصر جستنيان(١) .

أما بالنسبة للواندال فتحت زعامة ملكهم جزريك Gaiseric خرجوا من أسبانيا سنة ٤٢٩ بعد أن احتلها القوط الغربيون ، وعبروا البحر إلى شمال إفريقية حيث ساعدتهم الظروف على الاستيلاء على المنطقة من طنجه حتى طرابلس ، وتمكنوا كذلك من الاستيلاء على قرطاجة ، أهم مدينة فى الغرب بعد روما فى سنة ٤٣٩ م .

وقد عامل الواندال أهالى البلاد معاملة سيئة للغاية ، حتى أصبح لفظ الواندالية Vandalism فى اللغات الأوروبية الحديثة يعنى: الهمجية والوحشية، فقاموا بمصادرة ممتلكات الأهالى ، وصادر جزريك كذلك ـ وهو الملك الأريوسى بممتلكات الكنيسة الكاثوليكية فى شمال إفريقية ، واضطهد

---

(١) Lot : op. cit., p. 205

رجال الدين الكاثوليك ، كما لجأ إلى العنف والقسوة لجمع الضرائب من الأهالى ، مما جعل الاستياء عاما بينهم ضد هؤلاء الوآندال الكفرة(١) .

ولم يقنع الوآندال بما سيطروا عليه من مناطق فى شمال إفريقية ، وإنما أنشأوا لأنفسهم أسطولا بحريا ، ولم يمض إلا القليل من الزمن حتى أصبحوا أعظم قوة بحرية فى غرب البحر الأبيض المتوسط وأخذوا فى الإغارة على جزر البليار وسردينيا وكورسيكا وصقلية(٢) .

وفيما يتعلق بالقوط الشرقيين فقد ظلوا مقيمين فى جنوب روسيا وخضعوا للهون قرابة سبع وسبعين سنة ، حتى توفى آتيلا زعيم الهون فى سنة ٤٥٣ وانهارت امبراطوريته ، فتحرر القوط الشرقيون من سيطرة الهون ، وأخذوا يتجولون فى منطقة البلقان تحت قيادة زعيمهم ثيودريك Theodoric وبعد أن سببوا مضايقات كثيرة ومتاعب جمة للإمبراطورية الشرقية ، وجد الإمبراطور زينو Zeno أن خير وسيلة للتخلص منهم هى : أن يقحمهم إيطاليا التى كان يسيطر عليها Odoacer أدواكر(٣) زعيم إحدى

---

(١) Oman : The Dark Ages, pp. 7—9.

(٢) C. M. H., ed. Bury, vol. I, pp. 306—308.

فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٣) يقول الدكتور نبيه عاقل فى كتابه « الإمبراطورية البيزنطية » صفحة ٥٤ :
« وشهد حكم زينو تداعى وسقوط الجزء الغربى من الإمبراطورية .. ففى الوقت الذى عاد فيه إلى العرش بعد مؤامرة إقصائه أعلن إمبراطور الجزء الغربى وكان اسمه أدواكر أنه يتنازل عن كرسيه ويعتبر نفسه تابعاً لإمبراطور الجزء الشرقى » .
ولكن هذا غير صحيح ، فأدواكر لم يكن إمبراطوراً رومانياً ، ولكنه كان زعيم أحد جموع البرابرة الجرمان ، كما أنه لم يحكم الجزء الغربى كله ، وإنما اقتصر حكمه على إيطاليا فقط

القبائل الجرمانية ، وكان قد تم له إسقاط الإمبراطورية الغربية فى عام ٤٧٦م حين عزل آخر الأباطرة الرومان ويدعى رومولوس أجوسطولوس Romulus Augustulus ونفاه إلى جنوب إيطاليا ، وخصص له معاشاً كاف ، وحكم إيطاليا كنائب عن الإمبراطور الشرقى زينو ، واتخذ لقب « سيد الجند فى إيطاليا » Magister militum per Italiam (١) .

وهكذا اتجه القوط الشرقيون فى سنة ٤٨٩ م ، إلى إيطاليا ، حيث نازلوا أدواكر ، وأنزلوا به عدة هزائم ، وحاصروه فى رافنا ، ثم اقتحموها وقتلوه سنة ٤٩٣ م ، وحكم ثيودريك زعيم القوط الشرقيين إيطاليا باسم الإمبراطور البيزنطى(٢) .

وكان ثيودريك يحكم إيطاليا كأنه حاكما رومانيا ، وليس زعيما بربرياً ، واتخذ رافنا عاصمة لمملكته فى إيطاليا ، وبفضله تمتعت إيطاليا بفترة سلام امتدت لمدة ست وثلاثين سنة ، فوسع حدودها ، وشمل مجلس الشيوخ الرومانى برعايته واحترامه ، ولم يصدر تشريعا أو يسك عملة إلا وعليها إسم الإمبراطور البيزنطى ، كما أنه وهو الملك الأريوسى لم يسىء إلى الأوضاع الدينية فى روما ، أما الوظائف الدنية الكبرى فى الدولة فإن ثيودريك لم

= انظر المراجع التالية :

Bury : History of the Later Roman Empire, vol. I, p. 40 6.
C.M.H. ed. Bury, vol. I, pp. 430—433.
Ostrogorsky : op. cit. pp. 62—63.
(١) Ostrogorsky : op. cit., p. 62.

(٢) Ostrogorsky : op. cit., pp. 62—63.
Lot : The End of the Ancient World, p. 240.

يكتف باختيار مجموعة من الموظفين الإيطاليين الأكفاء لها فحسب ، بل حرص على أن يكون هؤلاء الموظفون من سلالة النبلاء ، وطبقة السناتو الذين كانوا يديرون شئون الإمبراطورية الرومانية فى سالف مجدها . ولكن رغم كل جهود ثيودريك إلا أن الاختلاف فى المذهب ظل يحول دون حسن التفاهم بين الإيطاليين والقوط الشرقيين(١) .

وهكذا نجح البرابرة الجرمان فى تأسيس ممالك لهم على أنقـاض الإمبراطورية الغربية ، وعند اعتلاء جستنيان للعرش كان هناك مملكة القوط الغربيين فى أسبانيا ، والقوط الشرقيون يحكمون فى إيطاليا ، والوندال يسيطرون على شمال إفريقية . ومملكة الفرنجة فى غالة ، فى حين تغلب الإنجليز والسكسون على بريطانيا(٢) .

وقد بدأ جستنيان بالواندال فى شمال إفريقية ، والواقع أن إرسال حملة ضد الواندال لم يكن بالأمر البسيط ، وذلك لبعد المسافة ، إذ كان لزاماً على الإمبراطور أن ينقل جيشه الضخم عن طريق البحر ، والمعروف عن الواندال أنهم يمثلون قوة حربية خطيرة وذلك لبراعتهم فى فنون القتال البحرى

---

(١) Lot : op. cit. p. 241.
فيشر : جـ ١ ، ص ص ٣٤ — ٣٦ .
سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ص ٨٦ — ٨٨ .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الفرنجة والإنجليز والسكسون ، انظر :
سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ص ٧٨ — ٨٥ ، ٨٩ — ٩٢ .
فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ص ٣٨ — ٤٢ .
Hodgkin : The History of England, pp. 72—73, 108, 195—209.
C.M.H. ed Bury, vol. I, pp. 398—381. Vol 3, p. 540

وامتلاكهم لأسطول قوى ، ولذلك كان جستنيان متردداً فى إرساله لهذه الحملة وقد أوضح بروكوبيوس فى كتابه عن حرب الواندال: De Bello Vandalico أن الإمبراطور عقد اجتماعا بالقصر الإمبراطورى ، وناقش مع مستشاريه مسألة الحملة ضد الواندال ، وقد أوضح لهؤلاء المستشارون مخاوفهم وشكوكهم فى نجاح الحملة التى كانت فى رأيهم تمثل مخاطرة كبيرة ، ورغم هذا كله فقد كانت رغبة الإمبراطور جستنيان فى استرجاع أملاك الامبراطورية الرومانية ، أقوى من كل المخاوف وكل الشكوك ، فأصر على إرسال هذه الحملة [1] .

وربما شجع جستنيان على إرسال هذه الحملة ، إدراكه أن الواندال قد فقدوا ما عرف عنهم من العنف نظراً لتأثرهم بالحضارة الرومانية ، كذلك لاختلاف المناخ الذى عاشوا فيه فى شمال إفريقية عن مناخ بلادهم فى شمال أوروبا . يضاف لذلك تشجيع اللاجئين من رجال الدين الذين فروا من وجه الواندال ، والذين أكدوا لجستنيان أن حملته ستلقى كل ترحيب وتعاون من جانب الأهالى فى شمال إفريقية ، نظراً لكراهيتهم للواندال الذين يختلفون معهم فى المذهب [2] .

وكان جستنيان يدرك طبيعة العداء بين الممالك الجرمانية ، هذا العداء الذى لن يتيح لها الاتحاد سوياً لمقاومته ، فقد كان الواندال على علاقات سيئة مع القوط الشرقيين فى إيطاليا ، وكان القوط الشرقيون فى حالة نزاع

(١) Procopius : De Bello Vandalico, English Trans. by Dewing, vol. II, pp. 90—101.

(٢) Vasiliev : op. cit., vol. I, pp. 135—136.

مع دولة الفرنجة فى غالة ، كما أن بعد المسافة بين القوط الغربيين فى أسبانيا وباقى ممالك الجرمان ، لن يتيح لهم القيام بدور فعال فى الحرب بينهم وبين جيوش جستنيان ، وبالتالى تتمكن هذه الجيوش من القضاء على كل عدو على حدة(١) .

وفى يونية سنة ٥٣٣ م ، خرجت الحملة المكونة من ١٥ ألف جندى تقلهم اثنتان وتسعون سفينة حربية (درومونة) ، وكان على رأس تلك الحملة القائد بليزاريوس ، وفى سبتمبر من نفس العام وصل بليزاريوس بحملته أمام قرطاجة عاصمة الواندال ، حيث دخل فى معركتين مع جليمار ملك الواندال أحرز فيهما انتصاراً حاسما ، ودخل قرطاجة حيث قوبل بالترحاب الحار من الأهالى . وهكذا قضى على الواندال ، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، وعاد بليزاريوس إلى القسطنطينية ، وصحب معه ملك الواندال أسيراً . وفى العاصمة البيزنطية تم الاحتفال بهذا الانتصار ، وعين جستنيان أحد القادة البيزنطيين ويدعى سالومون Solomon حاكماً على شمال إفريقية ، ولكن هذا الحاكم لقى مقاومة شديدة للنفوذ البيزنطى من قبائل البربر مما تطلب منه أن يخوض نضالا مريراً ضدهم انتهى بقتله على أيديهم . واستمرت الحروب مشتعلة بين البيزنطيين والبربر مدة طويلة ، حتى تم للقائد البيزنطى يوحنا تريجليت John Triglite أن يقضى على مقاومة البربر ، وأن يوطد النفوذ البيزنطى هناك ، وكان ذلك فى عام ٥٤٨ م(٢) .

(١) Vasiliev : op. cit., vol. I, pp. 135—136.

(٢) Vasiliev : op. cit., p. 136.

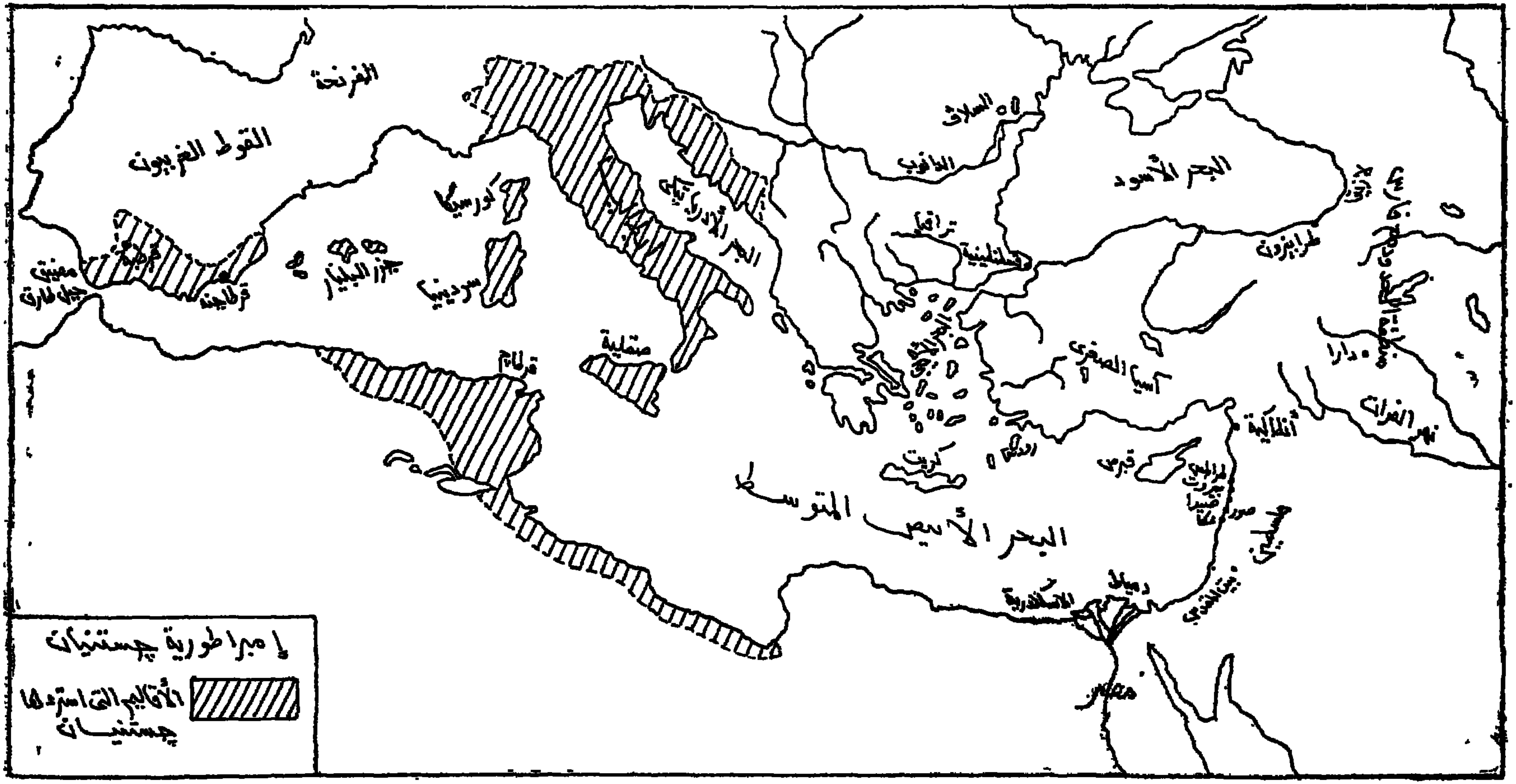
أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ص ١٨٧ — ١٨٨ .

وهكذا تم لجستنيان استعادة إقليم من الأقاليم التى احتلها البرابرة الجرمان ، كذلك تمكن من استعادة جزر البليار وسردينيا وكورسيكا ، وكان لهذا صداه الطيب فى نفسه، مما جعله يعلن فى فخر واعتزاز : « أن الله جلت قدرته تداركنا برحمته ، فلم يرجع إلينا فحسب إفريقية وأقاليمها ، بل أعاد إلينا أيضاً عباءتنا الامبراطورية التى أخذها الواندال حينما استولوا على روما »[1] .

بعد ذلك اتجهت أنظار جستنيان صوب إيطاليا التى كان يحكمها القوط الشرقيون ، وقد استغل جستنيان الخلافات والصراع الداخلى بين القوط ليتدخل ويستعيد هذه الولاية . فبعد وفاة ثيودريك فى عام ٥٢٦ م خلفه حفيده أثالاريك Athalaric . وتولت أمه آمالاسونثا Amalasuntha تصريف شئون الحكم كوصية على ابنها . وكانت هذه الوصية مثل أبيها ثيودريك من المعجبين بالحضارة البيزنطية ، وحرصت على إقامة علاقات طيبة مع بيزنطة . ولكن هذا لم يعجب زعماء القوط الذين لم يلبثوا أن قتلوا آمالاسونثا ، وبذلك هيأوا الفرصة لجستنيان للتدخل ، فأرسل جيشاً إلى إيطاليا اتخذ طريق دالماشيا ، بينما أرسل أسطولا بقيادة بليزاريوس ، نزل بصقلية أولا واستولى عليها دون مقاومة تذكر ، فى نفس الوقت أرسلت سفارة إلى مملكة الفرنجة فى غالة (فرنسا) لكسب ودها لضمان عدم مساعدتها للقوط .

---

(١) Vasiliev : History of the Byzantine Empire, vol. I, p. 136.
فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٨ .
العرينى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ص ٦٢ — ٦٣ .



إمبراطورية جستنيان
الأقاليم التي استردها جستنيان
الفرنجة
القوط الغربيون
قرطاجنة
جبل طارق
جزر البليار
كورسيكا
سردينيا
صقلية
قرطاجة
البحر الأدرياتيكي
السلاف
البحر الأسود
تراقيا
القسطنطينية
طرابزون
آسيا الصغرى
دارا
الفرات
أنطاكية
قبرص
كريت
رودس
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
صور
فلسطين
الإسكندرية
دمياط

بعد استيلاء بليزاريوس على صقلية ، اتجه إلى إيطاليا حيث تم له الاستيلاء على نابولى ، ثم دخل روما ولكنه تعرض داخلها لحصار شديد من جانب القوط ، وتمكن من اختراق هذا الحصار بصعوبة شديدة ، ثم اتجه شمالا إلى رافنا عاصمة القوط فاستولى عليها وهزم ملكهم الذى يدعى فيتيجس Vitiges وكان ذلك فى سنة ٥٤٠ م ، وأرسله بليزاريوس أسيراً إلى القسطنطينية .

لكن كثيراً من القوط لم يستسلموا ، وأعلنوا أحدهم ويدعى Ildidad ملكا عليهم ، ولم يلبث إلا قليلا فى الحكم وخلفه Eraric ، وبعد فترة قصيرة من حكمه أعلنوا توتيلا Totila ملكا عليهم فى خريف عام ٥٤١ م .

وقد قام توتيلا بطرد القادة الامبراطوريين ، وسقطت مدينة تلو الأخرى فى يده ، مما تطلب أن يعيد الامبراطور جستنيان إرسال بليزاريوس إلى إيطاليا ، لكنه لم ينجح هذه المرة فى معالجة الموقف ، ولما تعددت هزائمه أمام القوط ، استدعى إلى القسطنطينية وأرسل نارسيس بدلا منه ، وقد تمكن هذا القائد الماهر من إنزال الهزيمة الساحقة بجيش توتيلا فى معركة Busta gallorum فى أمبريا Umbria وبعدها تمكن توتيلا من الفرار ، وفى عام ٥٥٤ م أى بعد عشرين عاما من الحروب المخربة أعيدت إيطاليا وصقلية ودالماشيا من جديد إلى الامبراطورية البيزنطية[١] .

---

(١) بشأن الحرب ضد القوط الشرقيين أنظر :

= Procopius : Bellum Gothicum, I, pp. 1—10,

وبقى أمام جستنيان القوط الغربيون فى أسبانيا ، فاستغل ما ثار بينهم من صراع داخلى حول العرش ، وأرسل أسطولا بحرياً فى عام ٥٥٠ م ، فنازل القوط وانتصر عليهم ، واستولت القوات البيزنطية على العديد من المدن والحصون البحرية . وانتهى الأمر بخضوع الجزء الجنوبى الشرقى من أسبانيا ، بما فى ذلك قرطاجنة ومالطة وقرطبة . وهكذا امتدت الممتلكات البيزنطية من سانت فنسنت St. Vincent غرباً إلى قرطاجنة شرقاً[١] .

وقد كان من نتيجة هذه الحروب : أن اتسعت رقعة إمبراطورية جستنيان . وأصبحت تضم دالماشيا ، وإيطاليا ، والجزء الشرقى من شمال إفريقيا ، وجنوب شرقى أسبانيا ، وجزر صقلية وسردينيا وكورسيكا والبليار . وهكذا امتدت حدود الامبراطورية من جبل طارق حتى نهر الفرات . ولكن رغم ذلك ، فإن جستنيان لم يتمكن من استعادة جميع ممتلكات الامبراطورية الرومانية القديمة، فما زال خارج سلطانه الجزء الغربى من شمال إفريقية، ومعظم شبه جزيرة إيبيريا ، والأجزاء الشمالية من مملكة القوط الشرقيين — شمال جبال الألب — وكذلك لم يستطع الاستيلاء على غالة وبريطانيا[٢] .

= Vasiliev : op. cit., vol. I, pp. 136—137.
Ostrogorsky : History of the Byzantine State, pp. 70—71.
Bury : Later Roman Empire, vol. II, pp. 261—269, 288—291.

(١) Vasiliev : op. cit., vol. I, pp. 137—138.
Ostrogorsky : op. cit., p. 71.

(٢) Vasiliev : op. cit., vol. I, p. 138.
Ostrogorsky : op. cit. p. 71.

وإذا كان جستنيان قد تمكن من إحراز هذه الانتصارات فى الغرب ، إلا أن الموقف فى الشرق كان مختلفاً ، حيث اشتعلت الحرب بينه وبين الفرس .

ففى عام ٥٢٧ م حينما اعتلى جستنيان العرش هاجمت جيوش قباد الأول Kavadh 1 ملك فارس الأراضى البيزنطية ، واشتبكت قواته مع الجيوش الامبراطورية بقيادة بليزاريوس الذى أحرز الانتصار على الفرس عند دارا فى ٥٣٠ ، وانتصار آخر فى عام ٥٣١ عند الفرات فى كلينيكوم Callinicum وردهم عن غزو شمال سورية .

ثم توفى قباد فى ٥٣٢ ، فعرض ابنه وخليفته كسرى الأول أنوشروان Khosrau I — الذى يعد من أشهر ملوك آل ساسان — الصلح على جستنيان، فوافق على الفور نظراً لما كان يدور بذهنه آنذاك من مشروعات لاستعادة أقاليم الامبراطورية فى الغرب ، وأبرمت الاتفاقية فى عام ٥٣٣ ، وكانت فى صالح البيزنطيين الذين لم يفقدوا أية ممتلكات .

على أنه أثناء انشغال جستنيان بالحرب مع القوط الشرقيين فى إيطاليا، أرسل هؤلاء وفداً إلى الملك الفارسى كسرى أنو شروان يحثونه على قتال البيزنطيين(١) ، وذلك حتى يفتح الفرس جبهة قتال ثانية أمام البيزنطيين يكون لها أثرها فى تخفيف وطأة القتال عليهم . فاستجاب لهم كسرى ،

---

(١) Procopius : Bellum Gothicum, pp. 1—4.

وخرج على رأس جيوش كثيفة وأغار على سورية ، واحتل إقليم الفرات ونهب وسبى ، ثم اتجه إلى منبج فى شمال سورية ففاوضه أهلها ، واشتروا منه الأمان بألف دينار فضة ، وتقدم بعد ذلك إلى أنطاكية التى كانت تمتاز بمناعتها الطبيعية لما يحيط بها من صخور ، فضلا عن الحصون التى أنشئت حولها ، وقاوم الأهالى بها جيوش الفرس . ولكن كسرى اهتدى إلى ثغرة فى سورها دخل عن طريقها المدينة واستباحها ، ومنها انتقل إلى سلوقية ، حيث ذبح عند شاطئها ضحية للشمس ، ومنها إلى أفامية فدخلها ونهب دورها وكنائسها .

ولم يجد الامبراطور مفرا – والأمر كذلك – من أن يفاوض كسرى ، فعرض عليه الكف عن القتال مقابل دفع الجزية السنوية ، فقبل كسرى وعاد إلى بلاده ، ومعه آلاف من الأسرى بنى لهم مدينة خاصة أطلق عليها اسم أنطاكية كسرى(١) .

وفى سنة ٥٤١ هاجم كسرى إقليم لازيقا على الساحل الجنوبى للبحر الأسود ، وفى سنوات ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ هاجم البلاد البيزنطية وأحرق وخرب وسلب ، وأنفذ جستنيان حملة فى ٥٤٣ من ثلاثين ألف جندى لمهاجمة البلاد الفارسية فى أرمينية ، ولكن الحملة منيت بالفشل ، وقد أدرك الطرفان المتحاربان صعوبة القتال فى بلاد القوقاز نظراً لطبيعة هذه البلاد الجبلية ووعورة مسالكها ، فتهادنا فى سنة ٥٤٤ وجددا الهدنة مرتين .

---

(١) Procopius : Bello Persico, II, pp. 8—11.

وفى سنة ٥٦١ م أبرمت هدنة بينهما لمـــدة خمسين سنة مقابل تعهد البيزنطيين بدفع الجزية السنوية لملك فارس ، وأن تجلوا القوات الفارسية عن لازيقا وتسلمها للبيزنطيين ، وبذلك لم يعد للفرس ممتلكات على ساحل البحر الأسود ، وتعهد ملك فارس باتباع سياسة التسامح الدينى مع المسيحيين فى بلاده بشرط أن يمتنعوا عن التبشير بالمسيحية بين أهالى هذه البلاد[١] .

أما على الجبهة الشمالية ، فقد تعرضت الامبراطورية لهجمات متتالية من عناصر مختلفة من البرابرة . وقد أثبتت الأحداث أن نهر الدانوب لم يكن عائقا أمام تقدم الأعداء ، فإن الدانوب الأدنى كان بالقرب من سهل يعتبر من قديم الزمان ممرا للمهاجرين البدو القادمين من آسيا . وفى منطقة البلقان كان الطريق مفتوحاً أمام المهاجرين البرابرة للتوغل فى أقاليم الامبراطورية والوصول للقسطنطينية ذاتها[٢] .

ومنذ زمن الامبراطور أنستاسيوس Anastasius (٤٩١ — ٥١٨) والجبهة البلقانية تتعرض من آن لآخر لهجمات عناصر البلغار والسلاف ، وفى عصر جستنيان عبرت الدانوب أعداد كبيرة من هذه العناصر وتوغلوا

---

(١) Vasiliev : op. cit., vol. I, pp. 138—139.
Ostrogorsky : op. cit., p.
أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ص ١٨٥—١٨٦ ، ١٨٨ — ١٩٠ .

(٢) Obolensky, D. : The Empire and Its Northern Neighbours, C. M. H. vol. Iv, part. I, pp. 475—476.
Moss : The Formation of the East Roman Empire (330—717), C.M.H. vol. IV, part. I, p. 29.

فى الأقاليم البيزنطية مخربين كل ما يصادفهم ، وقد وصل فريق منهم إلى العاصمة القسطنطينية وإلى الهالسبونت ، والفريق الآخر توغلوا فى بلاد اليونان ، ووصلوا حتى خليج كورنثة وسواحل البحر الأدرياتيكى فى الغرب .

وقد قام السلاف بمحاولة للوصول لسواحل البحر الإيجى ، وفى أثناء محاولتهم هذه اجتاحوا فى طريقهم مدينة سالونيك ، التى تعتبر من أهم المدن فى الامبراطورية ، وقد اشتبكت الجيوش البيزنطية معهم واضطرتهم للارتداد إلى ما وراء نهر الدانوب ، ورغم هذا إلا أن بعضا منهم قد استقر فى هذه المنطقة ، ولم تتمكن جهود جستنيان العسكرية ضدهم من زحزحتهم عن هذه المناطق[١] .

وإلى جانب السلاف ظهرت عناصر أخرى مثل الجرمان Germans ، والجبيد Gepids ، والكوتريجور Kotrigurs وهم فرع من الهون ، هاجموا شبه جزيرة البلقان من الشمال . وفى شتاء ٥٥٨ — ٥٥٩ م ، قام الكوتريجور تحت قيادة زعيمهم الذى يدعى Zabergan بمهاجمة إقليم تراقيا ، وهناك تفرعوا إلى ثلاث فرق : واحدة ذهبت لتخريب بلاد اليونان ، والأخرى لنهب بعض المدن فى تراقيا ، أما الثالثة : فتحت قيادة زعيمهم نفسه وصلت إلى القسطنطينية لمهاجمتها .

---

(١) Vasiliev : op. cit., vol. I, p. 140.

وقد عانت المناطق التى تعرضت لهذا الهجوم الكثير وأرسلت كنائسها كنوزها ونفائسها إلى العاصمة أو إلى الكنائس الأخرى على الشاطىء الآسيوى للبوسفور ، واستدعى جستنيان قائده بليزاريوس الذى تمكن من إلحاق الهزيمة بهذه الفرق الثلاث ، ولكن رغم ذلك فإن أقاليم تراقيا ومقدونيا وتساليا قد لقيت الكثير من التخريب وما ترتب على ذلك من مشاكل اقتصادية[١]

---

(١) Vasiliev : op. cit., vol, I, p. 140.

الفصل الثالث

الادارة والتجارة فى عصر جستنيان

— اهتمام جستنيان بالنواحى الادارية .

— يوحنا الكبدوكى .

— جهود جستنيان لتبسيط النظم الادارية .

— كبار الملاك وخطرهم على الحكومة .

— موقع القسطنطينية كوسيط تجارى بين الشرق والغرب .

— مشكلة استيراد الحرير من الصين وكيفية التغلب عليها .

— أهم صادرات الامبراطورية فى عصر جستنيان .

لقد أولى جستنيان اهتماماً كبيراً للنواحى الإدارية فى الإمبراطورية ، وكان يرى أن عليه أن يقوم بإصلاحات إدارية ضخمة ، لأنها من واجبات الإمبراطور تجاه الرعية من جهة ، ومن جهة أخرى للتقرب من الله الذى حباه بفضله وعطفه .

وقد رأى جستنيان أن واجب الموظفين الإداريين ودافعى الضرائب يتمثل فى أنه ينبغى أن يكون الموظفون أمناء ، تعف أيديهم عن تناول الرشوة ، وأن يراعوا دخل الحكومة ، ويعملوا على زيادة هذا الدخل . أما واجب دافعى الضرائب فهو أن يؤدوا ما هو مقرر عليهم من ضرائب كاملة ، عن طيب خاطر وبانتظام . وهكذا أصبح جستنيان حامياً لحقوق الخزينة الإمبراطورية ، وفى نفس الوقت المدافع عن رعاياه ضد ظلم الموظفين وابتزازهم أموالهم .

وقد حرص على أن يضمن مرسوماته هذه المبادىء الأساسية التى قامت عليها إصلاحاته الإدارية[١] .

وقد وضع جستنيان على رأس الجهاز الإدارى ، يوحنا الكبدوكى John The Cappadocian الذى عمل على توفير المال اللازم لجستنيان لتنفيذ مشروعاته الواسعة ، فاستحدث ضرائب جديدة منها على سبيل المثال :

(١) Vasiliev.: History of the Byzantine Empire, vol. I, p.159

الضريبة المسماة أيريكون Aerikon ، والتي جلبت للخزينة الإمبراطورية ثلاثة آلاف رطل من الذهب[1] . وقد أثار تفنن يوحنا الكبدوكي في ابتداع هذه الضرائب بعض الجماهير واستيائها ، بعد أن فاقت الضرائب المفروضة عليهم كل احتمال، وكان أن ضاق به صدر الإمبراطورة ثيودورا فعزلته عن منصبه نهائيا وكان ذلك في عام ٥٤١ م[2] .

وقد عمل جستنيان على تبسيط الأمور الإدارية عن ذي قبل . فقد كان الإمبراطور قسطنطين الأكبر قد قسم الولايات الكبيرة إلى ولايتين أو أكثر . وفصل السلطة الإدارية عن السلطة العسكرية في كل ولاية ليتجنب حركات التمرد التي قد يقوم بها من يجمع في يده السلطتين . لكن جستنيان قرر الجمع بين السلطتين الإدارية والعسكرية في يد حاكم الولاية ، كما قلل عدد الولايات وأنقص عدد الموظفين وزاد في رواتبهم حتى يكون ذلك دافعاً لهم على إتقان عملهم ، كما أنعم بلقب جستنياني justiniani على حكام الولايات ليزيدهم شرفاً ووقاراً[3] .

ووجه جستنيان عناية خاصة لإدارة العاصمة ، فعين عدداً من الولاة أطلق على الواحد منهم لقب Praetorius أوكل إليهم شئون القضاء والسجون . وفي سنة ٥٣٩ م أنشأ وظيفة Quaestor الذي كان بمثابة الوكيل العام للشعب ، فكان من اختصاصه ختم الوصايا وفضها وتولى تنفيذها

(١) Runciman : The Byzantine Civilisation, p. 93.

(٢) Runciman : op. cit., p. 38.

(٣) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ص ١٧٤ — ١٧٥ .

والإشراف على إدارة أملاك القصر والنظر فى قضايا التزوير . كذلك كان عليه أن يجد عملا لكل عاطل قادر على العمل ، ومراقبة الذين يفدون على العاصمة من أبناء الولايات بلا موجب فيعقدون مشاكلها بتصرفاتهم[١] .

وكان أخطر أعـداء الدولة فى الداخل هم طبقة كبار الملاك ، الذين اغتصبوا أملاك الدولة ، وأسكتوا كل من يلومهم ببذل الأموال . وقد انصرف هؤلاء لمباشرة شئون ضياعهم وأغفلوا شأن الحكومة المركزية وأحاطوا أنفسهم بالحرس الخاص ، وتبعهم عدد كبير من الرعاع الذين لم يتورعوا عن اختلاس كل ما تصل إليه أيديهم[٢] .

وكان هؤلاء الملاك الكبار بصفة خاصة فى آسيا الصغرى ومصر ، وأشهرهم أسرة أبيون Apion وهى أسرة مصرية حازت قرى بأكملها فى جهات مختلفة بمصر ، وانخرط فى خدمة رب الأسرة عدد كبير من الكتاب ونظار الضياع وحشود الفلاحين ، ومن يقومون بتقدير الضرائب وجبايتها ، وله شرطته الخاصة وكذلك البريد ، وله جيشاً خاصا ، وسجوناً يلقى بها من يجترىء على سلطانه . يضاف إلى ذلك ما حازته الكنائس والأديرة من ممتلكات تمتع أصحابها بسلطان واسع .

ورأت حكومة جستنيان أن هذا كله تحدياً لسلطانها ، فقاومته مقاومة طويلة الأمد ، تذرعت أثناءها بشتى الوسائل ، كأن تتدخل فى حق الإرث ،

(١) Runciman : Byzantine Civilization, p. 90.

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) Vasiliev: History of The Byzantine Empire, vol. I, p.158.

أو أن تكره بعض كبار الملاك على وقف أملاكهم على الإمبراطور ، أو أن تصادر بعض الأملاك بحجة عدم وجود الدليل على ملكيتها ، أو أن تتهم ديراً من الأديرة بالزندقة وتصادر ممتلكاته وتحولها إلى الدولة ، ورغم ذلك كله فلم يتمكن جستنيان من القضاء على هذه الطبقة[1] .

وقد بذل جستنيان جهوداً كبيرة من أجـــل المحافظة على الطرق والجسور ، وتوفير المياه والمحافظة على الأسوار ، وقد حث ولاته دائماً على الاهتمام بهذه الأمور . وقد أنشئت مدن جديدة فى أنحاء متفرقة اتخذت اسم « جستنيانة » نسبة للإمبراطور . ولم يدخر جستنيان جهداً فى بناء الحمامات ودور اللهو والساحات العامة . وبنـاء على رغبة ثيودورا أعاد تنظيم وظيفة المحافظين على الآداب العامة وأمرهم بالتشديد على المغامرين وسيئ السلوك ، واهتمت ثيودورا بأمر الساقطات فجعلت من قصر قديم على ضفة البسفور الآسيوية ديراً للتائبات منهن أسمته « دير التوبة » ، كما اهتمت كذلك بإقامة المستشفيات للمرضى وأماكن الراحة للمسافرين[2] .

---

(١) Boak : Byzantine Imperialism, in Egypt American Historical Review, XXXIV, 1928, p. 6.

Vasiliev : History of the Byzantine Empire, vol. I, p. 158.

أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ص ١٧٢ — ١٧٣ .

العريني : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ص ٧٢ — ٧٤ .

(٢) أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ص ١٧٥ — ١٧٦ .

التجارة

يقول المؤرخ رافسيان : إن القرن السادس يعتبر من أعظم عهود تجارة الشرق[1] .

ولا شك أن ذلك يرجع لجهود جستنيان فى ميدان التجارة من ناحية ، ولموقع القسطنطينية من الناحية الأخرى . فقد كان موقع هذه المدينة منذ إنشائها على يد الإمبراطور قسطنطين وحتى آخر عهـــد الإمبراطورية البيزنطية ، موقعاً تجارياً فريداً ، فهى تقع عند نقطة التقاء قارتى آسيا وأوروبا ، والمعروف أنه يفصل أوروبا عن جنوب غربى آسيا ، متسعان من الماء هما : البحر الأسود وبحر إيجة . على أن تراقيا تبرز بين البحرين لتلتقى بآسيا الصغرى لا يفصل بينهما سوى مضيقان هما : البسفور والهلسبونت ، وبينهما بحر مرمرة المغلق الذى تحوطه الأرض من جميع الجهات . وقد أتاح هذا الموقع الفريد لبيزنطة التحكم فى حركة التجارة المتنقلة بين البحر الأسود وبحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط ، كذلك التجارة بين أوروبا وآسيا الصغرى[2] .

---

(١) Runciman : Byzantine Civilisation, p. 164.

(٢) Runciman: pp. 11—12.

Moss, H. : The Formation of the East Roman Empire, (330—717,) C.M.H. vol. IV, part 1, p. 41.

وكان موقع القسطنطينية هذا يعود عليها بالثراء والرخاء . ذلك أن نسبة تعادل عشرة فى المائة من ثمن البضائع كانت تفرض كرسوم على جميع الصادرات والواردات ، وكانت ضريبة الصادرات تدفع فى القسطنطينية ، أما الرسوم على الواردات فكانت تجمع عند أبيدوس على مضيق الهللسبونت ، أو عند هيرون على مضيق البسفور . ولم يكن يجوز لأية سفينة أن تعبر المضايق دون دفع الرســـوم المستحقة عليها ، وكان ذلك يمد الخزينة الإمبراطورية بفيض من الثروة (١) .

ولم تكن حركة العبور التجارى لبلاد الغرب الفقيرة هى التى تستفيد منها الإمبراطورية بدرجة كبيرة ، ولكن تجارتها مع الشرق ، مع الصين والهند هى التى كان لها الاعتبار الأول والأهم . وكانت صادرات الإمبراطورية من البضائع والكماليات الغاليـــة الثمن من مصانعها فى سورية ، وكانت الصادرات لا تتوازن مع الواردات من بلاد الشرق وخاصة الحرير ، الذى ازداد الإقبال عليه بصورة مضطردة مع ازدياد أسباب الترف ، وأصبح لبس ثياب الحرير الخالص فى هذا العصر مألوفاً فى الحياة المنزلية ، كما أخذت الكنيسة ترحب بهدايا من هذه المـــادة الثمينة لاستعمالها فى ملابس رجال الدين والستر والأغطية وتزيين المذابح ، بعد أن كانت ترفض فى أول الأمر استخدام الحرير فى الأغراض الدينية ، كذلك احتكرت الدولة صنع أشكال

---

(١) Runciman : Byzantine Civilisation, p. 170.
Bury : Eastern Roman Empire, pp. 217—219.

معينة من ثياب الحرير كانت تلبس فى مراسم البلاط[١] .

على أن الإمبراطورية البيزنطية كابدت الكثير فى سبيل نقل الحرير من الصين ، حيث إن الطريق البرى إلى الصين كان يمر عبر الأراضى الفارسية. كما أن الطريق البحرى عبر المحيط الهندى كان يسيطر عليه كذلك تجار الفرس الذين يبحرون من الخليج الفارسى إلى سيلان حيث تتجمع البضائع الآتية من الصين . لذلك كان نشاط الحـــركة التجارية بين الإمبراطورية البيزنطية والصين أو كساد هذه الحركة يتوقف على العلاقات مع فارس ، حتى إن تجارة الحرير كانت تتوقف تماماً فى فترات الحرب بين الطرفين[٢] .

لذلك حاول جستنيان أن يستبدل هذا الطريق بطريق آخر غير مباشر عبر إقليمى لازيقا والقوقاز . حيث ارتبطت بيزنطة بعلاقات طيبـــة مع شعوب السهول فى شمال البحر الأسود، لذلك أجرت بيزنطة اتصالات مع الأتراك الذين كانوا يسيطرون على منطقة شمال القوقاز والذين عانوا هم الآخرون من جراء سيطرة الفرس على تجارة الحرير . كما حاول جستنيان كذلك استخدام طريق البحر الأحمر للوصول إلى الهند ، ومن أجل ذلك ، أقام علاقات ودية مع المملكة الأثيوبية Axum .

لكن هذين الطريقين لم يقدر لهما النجاح ، إذ أن الطريق البرى عبر

(١) Ostrogorosky : History of the Byzantine State, p. 74.
بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٧٦ .

(٢) Ostrogorosky : p. 74.

وسط آسيا كان طريقاً صعباً وخطراً . وبالنسبة للطريق البحرى، لم يتمكن لا التجار الأثيوبيون ولا التجار البيزنطيون من كسر سيطرة الفرس على المحيط الهندى . وظل الفرس يتحكمون فى طريق التجارة إلى الصين ويسيطرون عليه[1] .

على أية حال : فقد انتهت متاعب بيزنطة بالنسبة لحصولها على الحرير ، بعد اكتشافها لسر دودة القز فى حوالى سنة ٥٥٢ أو سنة ٥٥٤ ، حين وصل إلى القسطنطينية راهبان نسطوريان يحملان فى عكازيهما دودة القز وبيضها ، وبدأت أشجار التوت تزرع فى سورية ، ونمت صناعة الحرير سريعاً ، وتركزت مصانعه فى القسطنطينية وأنطاكية وبيروت ، وكانت هذه المصانع احتكاراً للإمبراطورية واستخدمت بها الآلاف من العمال . ورغم أن الطريق بين بيزنطة والصين أصبح ميسراً بعد عقد الصلح مع الفرس إلا أن بيزنطة أصبحت فى حالة اكتفاء ذاتى[2] .

وقد ترتب على استرجاع جستنيان لولاية شمال إفريقية سنة ٥٣٤ م انتعاش كبير فى تجارتها، وبذل هذا الإمبراطور جهده فى سبيل تشجيع التجارة بين موانيه الشرقية وبلاد شمال إفريقية وإيطاليا . وكانت سورية ـ التى تعتبر من أخصب بلاد العالم آنذاك ـ تصدر الحرير والخمور من غزة وعسقلان ،

---

(١) Ostrogorosky : pp. 74 | 75.

(٢) Bury : Later Roman Empire, vol. II, p. 330.

بينز . الامبراطورية البيزنطية ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

أسد رستم . الروم ، ج ١ ، ص ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

والزجاج من صيدا ، وبضائع أخرى متقنة الصنع من صـــور وبيروت . أما مصر ، فكانت تصدر ورق البردى والبهارات التى كانت تصلها من بلاد الشرق الأقصى[١] .

وهكذا نهض جستنيان بالتجارة نهضة كبرى كان لها أثرها فى الانتعاش الاقتصادى الذى تمتعت به الإمبراطورية وعلى الأخص فى الفترة المبكرة من عصر هذا الإمبراطور .

(١) بينز . الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٨٣ .

الفصل الرابع

جستنيان والاستبداد القيصري البابوي

- جستنيان إمبراطوراً وبابا
- محاولة التوفيق بين السلطتين الزمنية والروحية
- أولوية كنيسة روما على باقي الكنائس بالإمبراطورية
- الخلاف بين أصحاب مذهبي الطبيعة الواحدة والطبيعتين
- اهتمام جستنيان بتشييد الكنائس

إذا استعرضنا تاريخ العلاقات بين الكنيسة والدولة نجد أن عصر جستنيان يمثل ذروة تدخل النفوذ الإمبراطورى فى شئون الكنيسة ، وليس هناك إمبراطور من الذين سبقوه أو جاءوا بعده — كما يقول المؤرخ استروجورسكى — كان له مثل سلطته المطلقة على الكنيسة(١) .

فقد كان جستنيان الحاكم المسيحى المشبع بالإحساس بالمصدر الإلهى لسلطته الإمبراطورية . فهو الرجل المنتخب بفضل العناية الإلهية ليحكم المجتمع المسيحى(٢) .

وهكذا أصبح جستنيان رئيساً للدولة ورئيساً للكنيسة فى آن واحد ، وهو ما يطلق عليه اسم الاستبداد القيصرى البابوى Caesaro—Papism أى إنه إمبراطور وبابا فى نفس الوقت ، فهو يجمع فى شخصه السلطتين : الزمنية والروحية(٣) .

وكان من رأيه أن انتظام أحوال الكنيسة هو دعامة الملك ، لذلك فقد

---

(١) Ostrogorsky: History of the Byzantine State, p. 77.

(٢) Herman : The Secular Church, C.M.H. vol. IV, Part II, p. 104.

Ensslin: The Government and Administration of the Byzantine Empire, C.M.H., vol. IV, part II, p. 2.

(٣) Herman : The Secular Church, p. 105.

ضم الكنيسة داخل إطار عمل الدولة ، والمقصود هو أنها تصبح كنيسة الدولة State Church ليس فقط تحت الحماية الخاصة للدولة ، بل تخضع لإدارتها ، وذلك لأن أهداف كل منهما مماثلة ، فكلاهما تستميل العالم من أجل المسيح ، فالعالم المسيحى Oikoumene بالنسبة له مثل إحياء السيادة الرومانية(١) Imperium Romanum.

لذلك كان جستنيان حريصاً على إقرار الوفاق بين السلطتين ، وقد أوضح هدفه هذا فى أحد قوانينه الجديدة(٢) الذى صدر فى ٩ مارس ٥٣٥ بقوله :

"Maxima quidem in hominibus sunt dona dei a Superna collata clementia sacerdotium et imperium, illud quidem divinis ministrans hoc autem humanis praesidens ac diligentiam exhibens: ex uno eodemque principio utraque procedentia humanam exornant vitam Ideoque nihil sic erit studiosum imperatoribus, sicut sacerdotum honestas, cum utique et pro illis ipsis semper deo supplicent."

« هبات الله العظمى للرجال نتجت من كرمه المطلق ، الهيئة الكهنوتية ، والسلطة العلمانية ، الأولى تخدم المصالح الإلهية ، والثانية تخدم مصالح البشر وتسهر عليهم . كلاهما اتت من نفس المصدر لتكمل الحياة البشرية . لذلك لا شيء يسترعى اهتمام الإمبراطور أكثر من كرامة رجال الدين ، بعد هذه الصلاة المستمرة من اجلهم .

---

(١) Herman : The Secular Church, p. 104.
Ostrogorsky : p. 77.

(٢) Novellae, no. 6, ed. Zachariae von Lingenthal, Jus graeco romanum.

إذا رجال الدين وثقوا تماماً فى الله ، وإذا الإمبراطور حكم الدولة المعهود إليه بها ، بالعدل والشرف ، فإن الوفاق المتبادل ، سوف ينشأ ليؤكد وحدة المنافع للجنس البشرى . وبناء على ذلك فإن عقيدة الله الصحيحة ، وشرف رجال الدين ، هما فى المحل الأول من اهتمامنا » .

وكان جستنيان شديد الإيمان بكنيسة واحدة جامعة . لذلك كان من البداية حريصاً على أن يوطد علاقاته بكنيسة روما . وقد اعترف جستنيان صراحة بما لكرسى روما من سلطة عليا على باقى الكنائس فى إمبراطوريته، ففى خطابه إلى البابا يوحنا الثانى ، جعل من كنيسة روما :

Caput Omium Sanctarum ecclesiarum

« رأس كل الكنائس المقدسة » .

وفى ديباجة أحد قوانينه الجديدة[١] الذى صدر فى مايو ٥٣٥ ، أفصح عن مكانة روما فى نظره فى الكلمات التالية : « روما القديمة تمتعت بشرف كونها أم القانون ، وبلاشك هى مقر البابا الإسمى ، لهذه الأسباب نرى كذلك أنه من الضرورى أن نشرف مهد القانون ، ومنبع اللاهوت بقانون خاص بإرادتنا المقدسة » .

أما أسقف روما ، فقد أوضح جستنيان مكانته بالنسبة لباقى رجال الدين فى هذا المرسوم[٢] الذى صدر فى سنة ٥٤٥ وجاء به ما يلى : « نعلن

(١) Novellae, no. 9, ed. Zachariae, Jus graeco, romanum.

(٢) Novellae, no. 131, ed. Zachariae, Jus graeco romanum.

أن البابا المقدس لإبرشية روما يكون له الأولوية على كل رجال الدين ، ومطرانية القسطنطينية — روما الجديدة — المباركة تكون فى المرتبة الثانية بعد الإبرشية الرسولية المقدسة روما ، بأسبقيتها على كل الإبرشيات الأخرى » .

كما أوضح أن الأباطرة يجب أن يخاطبوا أسقف روما كما لو كان « أباهم الروحى » ، وكان هو يخاطب أسقف روما على أنه « البابا » و « البابا البطريرك » و « الأب الرسولى » . وقد قصر لقب البابا على أسقف روما فقط[١] .

ولكن رغم هذا كله ، فلم يكن لدى جستنيان أية نية للإضرار بحقوق الإمبراطور فى حكم المجتمع المسيحى ، فقد بقى هو السيد الأعلى ، الأمر الذى منحه العديد من الامتيازات الدينية ، فهو الذى يعقد المجامع ، ويرأسها بشخصه أو عن طريق أحد نوابه ، ويشترك فيما يجرى فيها من مناقشات لاهوتية ، وهو الذى يجيز القرارات وينشرها فى شكل مرسوم رسمى ، ولديه نفوذ قوى لاختيار البطاركة ، ورؤساء الأساقفة ، والأساقفة . وهو الذى يؤلف تراتيل الكنيسة . وينشىء الإبرشيات ، ويعين فيها المطارنة . ولكن فى الأمور الدينية البحتة ، يترك الكلمة الأخيرة لأسقف روما[٢] .

---

(١) Herman : The Secular Church, p. 105.
Vasiliev : Historyof the Byzantine Empire, vol. I, p. 149.

(٢) Herman : op. cit. p. 105.
Vasiliev : op. cit. p. 149.

وقد ارتضى بابوات روما هذه السياسة الدينية لجستنيان ووافقوا عليها وأقام البابا فيجيليوس Vigilius .. صلاة الشكر للسيح ، الذى وهب جستنيان « ليس فقط روح إمبراطورية ، ولكن إكليركية كذلك[1] » .

ومع اعتقاد جستنيان فى هذا المبدأ ، مبدأ سمو كنيسة روما ، لم يكن غريباً أن يعمد إلى إزالة الخلاف بين كنيسة روما والكنائس الشرقية ، على أن تحقيق وحدة الكنيسة بين الغـــرب والشرق ، بين روما والإسكندرية وأنطاكية ، كان يعتبر أمراً مستحيلا . كما أن الخلاف حول تفسير طبيعة المسيح زاد من اتساع الفجوة بين الكنائس الشرقية والغربية ، والواقع أنه منذ القرن الخامس الميلادى ، والجدل يشتد حول مسألة الطبيعة الواحدة ، والطبيعة المزدوجة للسيد المسيح[2] .

وقد ساد مذهب الطبيعة الواحدة monophysite فى الأقاليم الشرقية ، وخاصة فى مصر والشام وفلسطين ، وكانت الإمبراطورة ثيودورا نفسها تدين بهذا المذهب ، ولذلك حظى المونوفيزتيون بتأييدها ، أما جستنيان فإنه كان يدين بمذهب الطبيعتين .

وهكذا كانت الولايات الشرقية تشتمل على عدد كبير من أصحاب الطبيعة الواحدة، وكان إرضاؤهم يغضب كنيسة روما ، وإرضاؤها يغضبهم،

---

(١) Dvornik : Constantinople and Rome, C.M.H., vol. IV, PartI, p. 437.

(٢) Bury : op. cit. vol. I, pp. 357—358.

فيشر : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ص ٥٦ — ٥٧ .

ومن ثمة وجد جستنيان نفسه بين شرين ، شر الابتعاد عن روما وعن الكنيسة الأرثوذكسية ، وشر مناوءة الولايات الشرقية له واستعدادها للانفصال عنه . وقد اعتبر المؤرخ فازيلييف أن لحكومة جستنيان وجهين: أحدهما : يطل على روما يلتمس منها التوجيه ، والآخر : يطل على الشرق يلتمس الحقيقة من رهبان مصر والشام[1] .

وبتأثير من ثيودورا ، وحرصاً على كسب ولاء الولايات الشرقية حاول جستنيان جاهداً أن يمسك العصا من الوسط ، وأن يضع حلولا يرضى بها أصحاب الطبيعة الواحدة ، وفى نفس الوقت لا يحيد بها عن أرثوذكسيته . ورغم محاولات جستنيان لكسب مشاعر المونوفيزتيين ومنحهم قدراً محدوداً من التسامح ، إلا أنه فشل فى كسب ودهم وظل ولاؤهم نحو حكومة القسطنطينية يضعف تدريجياً ، ولا سيما فى مصر والشام ، وكان ذلك مما مهد للفتوح الإسلامية[2] .

ولحرص جستنيان على توحيد العقيدة الدينية فى إمبراطوريته ، فإنه لم يتسامح مع أصحاب الديانات الأخرى ، وتعرضوا أثناء حكمه لحركات اضطهاد عنيفة فقد اصطدم جستنيان بالوثنيين واليهود والهراطقة ، وحتى يتخلص من بقايا الوثنية قام جستنيان بإغلاق جامعة أثينا التى كان الوثنيون ينظرون إليها على أنها معقلهم الرئيسى ، والتى كانت تمثل آخر معقل للوثنية ، كما نفى عدد كبير من أساتذتها وصادر ممتلكاتهم[3] .

---

(١) Vasiliev : op. cit., pp. 148—149.

(٢) Vasiliev : op. cit., pp. 150—151.

(٣) Vasiliev : op. cit., vol. I, p. 150.

وقد عنى جستنيان ببناء الكنائس فى إمبراطوريته لتمجيد العقيــــدة الأرثوذكسية ، ومنها كنيسة سانت فيتالى St. Vitaly برافنا ، التى زخرت بحوائط الفسيفساء البراقة ، وكنيسة آيا صوفيــــا Hagia Sophia التى بناها لتخليد اسمه على مر العصور، وحتى تكون مركزاً دينياً ظاهراً ، والتى تعتبر قمة فن العمــــارة البيزنطى . وقد بناها جستنيان فى عام ٥٣٢ م . فى القسطنطينية تحت إشراف أزيدور الملطى Asidore of Miletus وأنثيموس الترلى Anthemius of Tralles ، واستمر العمل فيها خمس سنوات ، واستعانا فى بنائها بخيرة الصناع من جميع أنحاء الإمبراطورية ، بلغ عددهم ألف صانع وانتهى بناؤها فى ٥٣٧ م ، فجاءت تحفة رائعة وخاصة قبتها التى تحدث بأسرار صنعها عباقرة المهندسين(١) .

وقد أصدر جستنيان مرسوماً إمبراطورياً فى عام ٥٣٥ م حدد فيه عدد رجال الدين القائمين بالخدمة فيها وكان عددهم ٦٠ قساً ، ١٠٠ شماساً ، ٤٠ رئيس شمامسة ، ٩٠ شماساً مساعداً ، ١١٠ مقرئاً ، ٤٠ مرتلا(٢) .

(١) Grabar, A. : Byzantine Architecture and Art, C. M. H., vol. IV. Part II, pp. 316—317.

(٢) Wellesz, E. : Byzantine Music and Liturgy, C. M. H., Part II, p. 141.

الفصل الخامس

جستنيان المشرع الأعلى

- الدوافع التى حدت بجستنيان لإصلاحاته التشريعية .
- مجمــوعة قوانين جستنيان .
- الموجــز .
- الشرائع .
- المتجــددات .
- جامعات القانون وطرق ومناهج التدريس بها .

كان جستنيان يعتقد أن إمبراطور الدولة يحمل عبئاً واجباً مزدوجاً ، فقد كان عليه أن يكون الفاتح العسكرى ، وفى نفس الوقت المشرع الأعلى .

وقد وجد جستنيان أن الغموض والتناقض قد تسربا إلى نصوص القانون الرومانى ، وأخذت القضايا أمام المحاكم تؤجل إلى مالا نهاية ، وكانت الأحكام لا تعتمد على مواد ثابتة بقدر اعتمادها على أهواء القضاة التعسفية[1] .

ولم يكن هناك مفر — والحالة هذه — من القيام بعمل حصر كامل للقانون الرومانى . وقد عهد جستنيان إلى وزير القضاء تريبونيان مهمة رئاسة لجنة لجمع القوانين التى أصدرها أباطرة الرومان ، وتنسيقها وحذف المتشابه منها ، واستخلاص مجموعة قانونية واحدة ، وقد تكون تريبونيان لجنة من عشرة أشخاص من المتخصصين كان من بينهم ثيوفيلوس .. Theophilus أستاذ القانون بجامعة القسطنطينية ، وقامت اللجنة بمراجعة المجموعات القانونية الثلاث السابقة :

Codex gregorianus. Codex Hermogenianus. Codex Theodosianus

واستبعدت منها كل ما هو غير مقبول ، كما قامت بتنظيم القوانين التى أصدرها الأباطرة بعد عصر ثيودوسيوس . وفى أوائل أبريل ٥٢٩ م صدرت نتائج

---

(١) بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٥ .

كل هذه الأعمال فى مجموعة جستنيان Codex Justinianus التى تألفت من عشرة كتب ، اشتملت على كل ما صدر من القوانين منذ زمن الإمبراطور هادريان (١١٧ — ١٣٨) إلى زمن جستنيان ، وأصبحت المجموعة الرسمية الوحيدة للقوانين بالإمبراطورية[١] .

وفى سنة ٥٣٠ م تلقى تريبونيان أوامر الإمبراطور للقيام بعمل جديد ، فألف لجنة من ستة عشر مختصاً ، كانت مهمتها مراجعة كل مؤلفات الفقهاء القدامى ، وأن تحذف ما تجده من النصوص المتناقضة أو المكررة ، وكذلك حذف المناقشات التى دارت حول بعض الموضوعات ، ثم تقوم بترتيب ما جرى جمعه من المواد القانونية وفقاً لنظام معين .

وقد استلزم الاضطلاع بهذه المهمة أن تقوم اللجنة بقراءة ألفى كتاب اشتملت على ثلاثة ملايين من السطور وتلخيصها . ولم تكن هذه المهمة الضخمة كما رآها جستنيان نفسه ، إلا ضرباً من المستحيل لا يتحقق إلا بعون من الله . وقد قدر لإتمام هذا العمل عشر سنوات ، ولكنه فى الحقيقة تم فى حوالى ثلاث سنوات فقط ، ونشر فى ديسمبر عام ٥٣٣ ، وهذه المجموعة الجديدة انقسمت إلى خمسين كتابا شملت ١٥٠,٠٠٠ سطراً ، واتخذت اسم الموجز Digestum أو Pendectae ، ووصفها جستنيان بقوله : إنها « معبد مقدس للعدالة الرومانية »[٢] .

(١) Vasiliev : The Byzantine Empire, p. 143.
Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 75.
Bury : Later Roman Empire, vol. II, p.396.

(٢) Vasiliev : The Byzantine Empire, p. 144.
بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٧ .

على أنه نتيجة للسرعة التى اقترنت بهذا العمل ، أن جاءت هذه المجموعة خالية من الوحدة والترابط ، كما أن التفويض الذى حصلت عليه اللجنة باختصار النصوص وتفسيرها ، واستخلاص نص واحد من نصوص عديدة، كل ذلك أدى فى بعض الأحيان إلى بتر النصوص القديمة . ورغم ذلك فإن لهذه المجموعة أهمية عظيمة القيمة ، إذ حفظت للأجيال التالية من المواد المستمدة من القانون الرومانى ما لم يكن معروفاً(١) .

وقد أدرك جستنيان أنه ليس بوسع كل الناس أن يستوعبوا هذه المادة الضخمة من المعلومات التى يمثلها القانون والموجز ، فليس بوسع كل الشباب المبتدىء فى دراسة القانون أن يلموا بمحتويات هذين المصنفين الضخمين ، لذلك قام تريبونيان ومساعداه ثيوفيلوس ودروثيوس Drotheus الأستاذ بجامعة بيروت ، بإعداد ملخص فى القانون المدنى صدر فى عام ٥٣٣ م ، وهو يشتمل على أربعة كتب معروفة باسم الشرائع Institutiones (٢) وفى المرسوم الإمبراطورى الذى صدر بخصوص هذه الشرائع كتب الإمبراطور أنه يقدمها « للشباب المتلهف على معرفة القانون »

Cupidae Iegum Juventuti

وما صدر من مرسومات إمبراطورية بعد عام ٥٣٤م جمعت وأصبحت تعرف باسم المتجددات Novellae Leges . والعـــدد الأكبر من هذه

---

(١) Vasiliev : The Byzantine Empire, p. 144.
أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٧ .

(٢) Vasiliev. pp. 144—145.

القوانين صدر باللغة اليونانية ، على حين أن القانون والموجز والشرائع صدرت باللغة اللاتينية . ومعنى ذلك استجابة جستنيان ، هذا الإمبراطور المتشبع بالتقاليد الرومانية لواقع الحياة العملية ، حيث تسود اللغة اليونانية. والدليل على ذلك ما جاء فى أحد هذه القوانين الجديدة ، حيث قال جستنيان : « إننا لم نكتب هذا المرسوم باللغة القومية ، ولكن باليونانية المستعملة ؛ لكى يصبح معروفا للجميع ، بسبب سهولة فهمه »[1] .

وقد كان جستنيان عملياً فى تشريعاته ، وحرص على مراعاة النواحى الإنسانية ، وكان رائده فى أعماله هذه « الإنسانية ، وصواب التفكير ، والمنفعة العامة » . وبناء على ذلك فقد ألغى القانون المعروف باسم . . . . Noxae deditio الذى بمقتضاه كان يحق للآباء أن يبيعوا أبناءهم كرقيق لأى شخص على سبيل التعويض عن ضرر أو أذى ألحقوه به وعلل جستنيان هذا الإلغاء بقوله : إنه « بناء على الرأى العادل للمجتمع العصرى ، يجب أن تنبذ القسوة التى من هذا النوع »[2] .

وقد ظهر تأثير الإمبراطورة ثيودورا فى النواحى التشريعية ، فى تلك الحقوق التى منحها جستنيان للمرأة ، مثل حق الزوجة فى الحصول من زوجها على أملاك تعادل فى قيمتها بائنتها ، وحق الأرملة فى الوصاية على أطفالها ، وتقررت للأطفال حرية أوسع فيما يتصل بأشخاصهم وأملاكهم،

(١) Vasiliev : vol. I, p. 145.

(٢) Runciman : Byzantine Civilisation, p. 76.

بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

وأصبح حرمانهم من الإرث فى المستقبل غير جائز إلا حسب قواعد ثابتة . ونص على أنه فى حالة حرمانهم يجب على الآباء أن يقـــرروا صراحة وبوضوح تام الأسباب التى بنى عليها حرمانهم ، كما أعيد صياغة قانون الوراثة، وأصبحت قرابة الدم أساساً له ، كذلك أمن العبيد من قسوة سادتهم ، ومنحوا الحق فى مطالبة الحكام بحمايتهم(١)

وللحفاظ على تلك الأعمال التشريعية العظيمة ، وجه جستنيان اهتمامه إلى جامعات القانون ، وأولاها عنايته ، وكان معظمها قد أغلق ، ونتيجة لجهوده ازدهرت ثلاث جامعات للقانون ، واحدة فى روما (مهد القانون)، والثانية فى القسطنطينية ، والثالثة فى بيروت(٢)

وكل جامعة من هذه الجامعات كان بها عدد محدود من أساتذة القانون لا يتجاوز أربعة ، وكان يطلق عليهم إسم Antecessores ، يتسلمون مكافآتهم من الحكومة ، ولهم الحق فى فتح فصول دراسية خارج الجامعة Public classrooms يلتحق بها من يريد دراسة القانون . وبخلاف أساتذة الجامعة كان هناك مدرسون يستقبلون فى منازلهم التلاميذ الراغبين فى دراسة القانون ، مقابل أجر معين يدفعه هؤلاء التلاميذ لأستاذهم(٣) .

---

(١) Runciman : p. 76
Vasiliev. : vol. I, p. 147

(٢) Runciman : p. 76.
Vasiliev : vol. I, p. 147.

(٣) Scheltema : Byzantine Law, C.M.H. vol. IV, Part II, p. 56.

وكانت دراسة القانون بعد سنة ٥٣٤ م ، تشتمل على ثلاثة فروع هى: القانون Codex ، الموجز Digestum ، والشرائع Institutiones . وكان التلاميذ يدرسون ٢٦ جزءاً فقط من الخمسين جزء لمجموعة الموجز مع أستاذهم ، أما الباقى فيدرسونه اعتماداً على أنفسهم .

وفى البداية كانت دراسة القانون تستغرق أربع سنوات ، وبعد سنة ٥٣٤ ، كانت خمس سنوات ، ثم أصبحت ست سنوات بعد سنة ٥٥٥ وذلك حتى يتمكن الطالب من دراسة أكبر عدد من القوانين الجديدة Novellae(١) .

وكان نظام محاضرات القانون فى الجامعة بالنسبة للطلبة الذين يتكلمون اليونانية يتخذ شكل ترجمة يونانية للنص اللاتينى للقانون يطلق عليها اسم Index ، وفى المحاضرة التالية يقوم الأستاذ بشرح نفس النص اللاتينى ، وتتخذ هذه المحاضرة شكل أسئلة من جانب الطلبة ، وإجابات من جانب الأستاذ ، الغرض منها إيضاح النص اللاتينى وتفسيره . لذلك ظهرت تفسيرات هامة للقوانين، مثل التفسير الذى كتبه ثيوفيلوس للشرائع، وتفسيرات للموجز لثيوفيلوس ، ستيفانوس Stephanus ، إيزيدون Isidore ، وكوبيداس Cobidas . وشروح للقانون Codex كتبها إيزيدور(٢) .

لكن الموقف تغير بعد سنة ٥٥٥ بظهور مجموعة القوانين الجديدة

---

(١) Scheltema : Byzantine Law, p. 56.

(٢) Scheltema : Byzantine Law, pp. 56—57.

Novellae التى ظهرت باللغة اليونانية ، فإن الطلبة لم يعودوا فى حاجة إلى Index ، على أنه كان هناك بعض الطلبة الذين يتكلمون اللاتينية مما تطلب عمل Index لهم باللغة اللاتينية للقوانين الجديدة . وكان التفسير اللاتينى الوحيد لهذه القوانين هو الذى قام بعمله جوليان وظهر باسم مختصر القوانين الجديدة(١) .

Epitome Novellarum

(١) Scheltema :Byzantine Law, p. 57.

الفصل السادس

تقييم انجازات جستنيان

- أهمية جهود جستنيان فى مجال القانون .
- نتائج جهوده لتحقيق وحدة الكنيسة .
- تقييم سياسته الخارجية تجاه الغرب وفارس .
- المشاكل الماليـــة والطبيعية التى واجهت جستنيان وأساءت للموقف .
- أهم نتـــائج هذا البحث .

بعد أن استعرضنا عصر هذا الإمبراطور وجهوده فى مختلف المجالات، لعله أصبح من الواضح أنه لا يستحق هذا الوصف الذى وصفه به المؤرخ فيشر(١)، بل نستطيع أن نقول: إن الإنسان يقف مبهوراً أمام الإنجازات الضخمة التى حققها جستنيان للإمبراطورية البيزنطية، والتى لا تزال آثارها باقية حتى اليوم لتؤكد للأجيال عظمة هذا الإمبراطور، ومنها آيا صوفيا، وأحواض «القصر الغائر» و «ألف عمود وعمود» فى استانبول، وكنيستى سانت أبولينار St. Apollinare، وسانت فيتالى St. Vitale فى رافنا.

أما عن الأثر الذى تركته جهوده فى مجال التشريع وترتيب القانون الرومانى، فقد ظهر بشكل واضح بعد تأسيس معهد الدراسات القانونية بمدينة بولونيا فى شمال إيطاليا، أواخر القرن الحادى عشر الميلادى، ومن ثمة أصبحت دراسة القانون الرومانى المدنى حسبما أصدره جستنيان دليلا واضحاً على أن ذلك المجتمع قد تولدت عنه أفكار ناضجة فى الملكية الخاصة والحقوق العائلية ونظرية العقد، وأنه كان وثيق الصلة بالحياة الواقعية، وأنه لم يبن على التشريع بقدر ما بنى على العرف والعادة وأقوال الفقهاء. وهكذا وجدت أوروبا الغربية، حين انجابت عنها ظلمات العصور الوسطى، وتكشفت لها مجموعة القانون المدنى الذى رتبه جستنيان، أنها أمام

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا البحث.

بناء شامخ هو المدنية الأوروبية التى كانت والتى سوف تكون . على حد تعبير فيشر(١) .

أما عن جهود جستنيان فى الناحية الدينية ، فقد رأينا كيف كان شغله الشاغل محاولة التوفيق بين كنيسة روما والكنائس الشرقية وإقامة كنيسة واحدة ، ولكن من الواجب أن نعترف أنه أخفق فى تحقيق وحدة الكنيسة داخل إمبراطوريته ، بعد أن ظل المونوفيزيتيون على عنادهم وتباعدهم . على أنه مما يعوض هذا الفشل ، ذلك النجاح الذى أحرزه فى مجال التبشير ، والذى كان من نتيجته نشر المسيحية بين القبائل والشعوب المجاورة ، فقد كان جستنيان يرى باعتباره إمبراطوراً مسيحياً أن واجبه يقتضى العمل على نشر المسيحية ليس فقط داخـــل إمبراطوريته ، وإنما خارجها كذلك ، ومن ثمة دأب على إرسال البعثات التبشيرية إلى المناطق التى لم تصل إليها المسيحية بعد ، وقد أثمرت جهوده فى هذا المجال ، وكان من نتيجتها تنصير قبائل الهرولى Heruli على الدانوب ، وبعض القبائل فى منطقة القوقاز ، وغيرها فى شمال إفريقية وفى حوض النيل الأوسط(٢).

وفيما يتعلق بحروبه فى الغرب ، فهل كانت ترفاً لا لزوم له ، وهل كانت من أجل تحقيق أطماعه الشخصية كما يرى بعض المؤرخين؟(٣).

إذا نحن نظرنا إليها فى ضوء المبادىء والمثالية الرومانية وجدنا أنها لم

---

(١) فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ص ٥٥ — ٥٦.

(٢) Vasiliev : The Byzantine Empire, vol. I, p. 141.

(٣) انظر الفصل الأول من هذا البحث .

تكن كذلك ، فبانتهاء عهد رومولوس أوجسطولوس آخر أباطرة الغرب الرومان فى سنة ٤٧٦ م . انتهى « شبه الانقسام » الذى كان موجوداً من قبل ، وظلت نظرية « الدولة الواحدة » قائمة دون تغيير ، وعادت الوحدة القديمة لشطرى الإمبراطورية إلى ما كانت عليـــه ، وانتقلت حقوق الإمبراطور الغربى تلقائيا إلى الإمبراطور الشرقى ، الذى جمع السلطة الرومانية Imperium Romanum فى يده مرة أخرى(١) .

وفى ضوء هذه النظرية الرومانية ، أصبح من واجب الإمبراطور الشرقى أن يعمل جاهداً على إعادة ضم هذه الولايات الغربية للإمبراطورية من جديد ، على أن الأباطرة السابقين لجستنيان قد قنعوا وقتذاك بما لهم من سيطرة إسمية على هذه الأقاليم وبما اعترف لهم به زعماء البرابرة من نفوذ شكلى وفضلوا الكسل والتراخى — على حد تعبير جستنيان — ولو كان هؤلاء الأباطرة حاولوا استرجاع هذه الأقاليم منذ وقت مبكر ، فربما كانوا قد نجحوا فى إيقاف التيار الذى سار فيه الغرب الأوروبى مبتعداً به عن الشرق الهللينستى ، ولما اتسعت الفجوة بين شطرى الإمبراطورية ، ولنجحت بيزنطة فى فرض سيطرتها الفعلية ونفوذها السياسى والحضارى على هذا الجزء من ممتلكاتها .

أضف إلى ذلك: أن الإمبراطور الشرقى قد مارس منذ البداية الاستبداد القيصرى البابوى Caesaro — Papism ، بمعنى أنه كان رأساً للكنيسة

(١) Vasiliev : op. cit. vol. I, p. 133.
Ostrogorsky : op. cit. p. 69.

كما هو رأساً للدولة . وبناء على ذلك أصبح واجبه الدينى يحتم عليه أن يخلص أهالى الولايات الغربية من يد الغزاة الأريوسيين ، وأن يعيد الأرثوذكسية إلى هذه البلاد ، وقد نظر هؤلاء الأهالى للإمبراطور الشرقى على أنه منقذهم ومخلصهم من هؤلاء السادة الكفرة .

وكان تخلى الإمبراطور الشرقى عن أداء واجبه السياسى والدينى تجاه الأقاليم الغربية للإمبراطورية يعتبر خيانة للمثالية الرومانية . وهكذا يتضح أن استعادة الأقاليم الغربية كان مسألة شديدة الأهمية بالنسبة لإمبراطور متشبع بالتقاليد والمثل الرومانية . وقد وجدت المثالية الرومانية فى شخص جستنيان المؤمن بها والمنفذ لها .

أما عن كون هذه الفتوحات الغربية لم تكن دائمة وأنها انهارت بعد وفاة جستنيان(١) ، فهذا يخالف الواقع ، ذلك أن إقليم شمال إفريقية استمر بيد الدولة البيزنطية لمدة تزيد على القرن من الزمان ، وكان مركزاً للولاء الإمبراطورى ، وقد خرج منه هرقل فى عام ٦١٠ م لينقذ الإمبراطورية من الهوة التى غرقت فيها أثناء حكم فوقاس (٦٠٢ — ٦١٠) ، ولم يسقط هذا الإقليم إلا أمام الفتح الإسلامى فى عام ٧١١ م . وبعد أن سقطت الولايات الشرقية نفسها فى يد المسلمين(٢) .

أما فى أسبانيا فقد ظل الإقليم الذى تم استرداده لها يدين بالولاء

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا البحث .

(٢) Ostrogorsky: History of the Byzantine State, pp.140—141.

للإمبراطورية لمدة سبعين سنة(١) .

وبالنسبة لإيطاليا ، فقد استمر الحكم البيزنطى والنفوذ الهللينستى فى الجنوب لمدة خمسة قرون تالية - أى حتى القرن الحادى عشر الميلادى - حين استولى النورمان فى عام ١٠٧١م على مدينة بارى آخر معقل للبيزنطيين هنـاك(٢) .

وفيما يتعلق بسياسته على الجبهة الشرقية للإمبراطورية ، فقد لقيت الـكثير من الانتقاد من جانب المؤرخين ، واتهموه بأنه أهمل الجبهة الشرقية « إهمالا شديداً » على حد تعبير المؤرخ ديل(٣) .

والحقيقة أن جستنيان لم يوجه اهتماماً كافياً لهذه الجبهة ، رغم أهميتها الحيوية للإمبراطورية . ويبدو أن إيمانه بالمبادىء المثالية الرومانية الخاصة باستعادة الأقاليم الغربية ، وحرصه على تحقيقها ، جعلته ينظر إلى حروبه فى الغرب على أن لها الاعتبار الأول والأهم ، وربما قنع جستنيان آنذاك بأن الإمبراطورية البيزنطية قد حافظت على ممتلـكاتها فى الشرق ولم تفقد شيئاً من أقاليمها هناك .

---

(١) Vasiliev : op. cit, vol. I, p. 138.
Bury : Later Roman Empire, vol. II, p. 287.

(٢) Tout : The Empire and the Papacy, p. 117.
Ostrogorosky : op. cit. p. 79.

(٣) ديل : بيزنطة ، عظمتها واضمحلالها ، ملحق بكتاب بينز «الإمبراطورية البيزنطية» ، ص ٣٣٢ .
Ostrogorosky : History of the Byzantine State, p. 71.
Vasiliev : History of the Byzantine Empire, vol. I, p. 142.

وقد كلفت جهود جستنيان فى مختلف المجالات ـ سواء فى ميدان الحرب أو الإنشاء والتعمير ـ الدولة الكثير من الجهد والمال ، خاصة وأن الضرائب المفروضة على الشعب لم تكن تصل كلها إلى الخزينة الإمبراطورية ، ولم يصل إليها إلا الثلث فقط ، نتيجة لعدم أمانة الموظفين المكلفين بجمعها . وقد حاول جستنيان القضاء على هذه الظاهرة بإصداره العديد من المرسومات والقوانين ، غير أن جهوده كلها لم تأت بالنتيجة المرجوة ، لأنه لم يكن باستطاعة أحد أن يغير من الطبيعة البشرية لهؤلاء الموظفين .

ولما اشتدت حاجة الإمبراطور إلى المال لمواجهة نفقات الدولة وحماية حدودها من هجمات المتبربرين ، لجأ إلى استحداث ضرائب جديدة ، وما صحب جباية هذه الضرائب من إجراءات شديدة صارمة ترتب عليها أن أصاب القرى الخراب وهجرها سكانها ، وفقدت الأرض خصوبتها ، ونشبت الاضطرابات فى أماكن عديدة ، حتى اقتضى الأمر أن يفرض جستنيان الأحكام العرفية فى بعض الأقاليم (١) .

ثم ما عمد إليه جستنيان من محاولة توفير الأموال عن طريق تخفيض عدد الجيش والتوقف عن دفع مرتبات الجند ، كان له نتائج بالغة الخطورة ، إذ أدى ذلك إلى أن أصبحت حـــدود الإمبراطورية مكشوفة للأعداء وخاصة القبائل المتبربرة التى أخذت تعيث فساداً فى أملاك الإمبراطورية .

---

(١) Vasiliev : vol. I, pp. 160—161.

فيشر : جزء ١ ، ص ٥٤ .

وهنا لجأ جستنيان لبناء سلسلة من القلاع والحصون والخطوط الدفاعية على طول أطراف الإمبراطورية فى آسيا وأوروبا ، كما لجأ إلى استمالة هؤلاء المتبربرين بالأموال والهدايا ودفع الجزية لهم(١) .

وإن كان بعض المؤرخين مثل فيشر يمتدحون هذه السياسة ويجدون فيها دليلا على سداد تفكير جستنيان وعلاجاً ناجحاً لمشكلة نقص الأموال(٢) . إلا أنها فى رأيى قد ضاعفت من المشكلة ولم تكن بالعلاج الناجح السليم ، إذ أن تلك الإجراءات كلها قد اعتمدت أولا وأخيراً على بذل الأموال سواء كان ذلك أموالا سائلة للأعداء أو ما تكلفه تشييد التحصينات من نفقات ، فى الوقت الذى كان جستنيان يعانى فيه من الضائقة المالية التى ألجأته إلى كل هذه الإجراءات . وهكذا أصبح جستنيان يدور فى حلقة مفرغة .

أضف إلى ذلك : أن إنشاء هذه الحصون والقلاع أصبح عديم الجدوى ، فلم يتهيأ لها الجنود المدافعون عنها ، وقال المؤرخ المعاصر أجاثياس : « إن هذه القلاع والحصون كانت خالية خاوية لا يسمع فيها نباح كلب واحد »(٣) .

على أنه من الجائر أن نحكم على جستنيان حكما مبنياً على ما آلت إليه

---

(١) فيشر : جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٢) فيشر : جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٣) أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .

الأمور فى أواخر أيامه ، خاصة وأن عوامل طبيعية بحتة ابتلى بها عصر جستنيان وكان لها أثرها فى سوء الموقف فى السنوات الأخيرة ، مثـــل الأوبئة وخاصة وباء الطاعون الذى انتشر فى الإمبراطورية فى سنة ٥٤٤ م وكانت بداية ظهوره بمصر ، ثم انتقل إلى سورية فالقسطنطينية ، فالأناضول، ثم ما بين النهرين ، ثم انتقل إلى صقلية وإيطاليا . وقد تزايد فتك هذا الوباء بالسكان ، ويقال : إنه أفنى ثلثهم ، ونتيجة لذلك عم الخراب فى المدن والقرى وتوقف الزرع ، فانتشرت المجاعات واضطربت الدولة بأسرها ، وقد زاد ذلك فى نقص الإيرادات ، كما قضى هذا الوباء على كثير من الشباب الذين كان عليهم حمل السلاح والاضطلاع بعبء الدفاع عن الإمبراطورية ضد الأعداء المتربصين بها من كل جانب .

وقد تعددت الزلازل ، وكان أخطرها الزلزال الذى حدث فى عام ٥٥١ م وقد اهتز فيه الساحل السورى من أرواد حتى صور ، وعم الخراب وأصيبت مدينة بيروت بالضرر الأكبر من جراء هذا الزلزال، ويقال : إن البحر تعرض لحركات المد والجزر مما تسبب فى إغراق العديد من السفن وآلاف الناس ، ويصف المؤرخ أجاثياس ما أصـــاب بيروت بقوله : « بيروت زهرة فينيقية ذوت بعد هذه الزلزلة العظيمة وتقلص ظل جمالها ، ودكت أبنيتها الشامخة البديعة فتقوضت ، ولم يبق منها إلا ردم وخراب ، وهلك تحت أنقاضها جم غفير من الأهالى والأجانب ، واختطف الموت نخبة الشباب الأشراف الذين كانوا قد قدموا إلى بيروت لدراسة الحقوق

الرومانية فى مدرستها الشهيرة التى كانت فخراً وتاجاً على مفرقها تباهى بها مثيلاتها من المدن العظمى »(١) .

والخلاصة : أن عهد جستنيان قد بدأ بداية طيبة بشرت بالآمال الزاهرة ، ثم سار وهو مكلل بالأعمال الرائعة والجهود المخلصة من أجل النهوض بالإمبراطورية وتبوئها مكانة رفيعة سامية ، ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بجو من اللوم والسخط الشديدين، على إمبراطور هو فى الحقيقة من عمالقة التاريخ الأوروبى، ويكفى وصف المؤرخ المعاصر أجاثياس الذى قال عن جستنيان : إنه «أول من دل بأقواله وأفعاله دون جميع أباطرة الدولة الرومانية ، أنه امبراطور »(٢)

ومن خلال عرضنا لعصر جستنيان وإنجازاته فى مختلف المجالات يمكننا أن نستخلص الحقائق التالية :

أولا :

إن جستنيان كان الإمبراطور الوحيد منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية القديمة فى عام ٤٧٦ م وحتى نهاية عهد الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى عام ١٤٥٣ م ، الذى حاول تحقيق المبدأ الرومانى الهام الخاص بمسئولية الإمبراطور الرومانى للشرق من الناحيتين السياسية والدينية تجاه الأقاليم الغربية التى استولى عليها البرابرة الجرمان .

(١) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٥٨ .

ثانياً :

إنه ليس من الصواب القول : إن جستنيان قد أعاد إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة لأنه — كما اتضح من خلال هذا البحث — لم يعيد هذه الإمبراطورية بحدودها التى كانت عليها فيما مضى ، وإنما الأصح القول : بأنه استعاد بعض الأقاليم الرومانية الغربية ، ووسع بذلك حدود إمبراطوريته .

ثالثاً

إن عهده يمثل آخر مرحلة من مراحل عظمة الإمبراطورية الرومانية اللاتينية ، وبعده أخذت الإمبراطورية الشرقية تصطبغ بالصبغة الهللينستية .

رابعاً :

إن سياسته الدينية الخاصة بإصراره على ممارسة الاستبداد القيصرى البابوى ، قد أوجدت سابقة من السيادة الدينية العليا للأباطرة البيزنطيين التاليين تمسكوا بها ، وظلوا يمارسونها حتى نهاية عهد الإمبراطورية البيزنطية ، وظل الإمبراطور البيزنطى حتى النهاية ، رأساً للكنيسة ، كما هو رأساً للدولة ، وبذلك أنقذ خلفاءه من التعرض لمراقف مماثلة لما حدث للأباطرة فى الغرب ، مثـــل هنرى الرابع وحادثة كانوسا ، وفردريك بربروسا ومقابلة البندقية(١) .

(١) تمت الحادثتان أثناء النزاع الذى اشتد بين أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية ، حول المبدأ الهام أيهما أسمى وأيهما يجب أن تكون له السيادة العليا : البابوية =

خامســـاً :

إن فتوحاته فى الغرب لم تنهار سريعاً ، ولـكن يعود الفضل لهذه الفتوحات فى إعادة واستمرار النفوذ البيزنطى فى جنوب إيطاليا لعدة قرون تالية ، وكانت فتوحاته هذه هى الأساس الذى استند عليه خلفاؤه الذين حاولوا أن يثبتوا نفوذهم فى الغرب ، وأن فتوحاته فى شمال إفريقية استمرت قائمة ، ولم تنهار إلا أمام طوفان الفتوحات الإسلامية ، ولم تسقط إلا بعد سقوط الولايات الشرقيه ذاتها . وأنه أعاد البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية مرة أخرى .

= أم الإمبراطورية ؟ وتتلخص حادثة كانوسا فى أنه بعد أن أصدر البابا جريجورى السابع قرار الحرمان ضد الإمبراطور هنرى الرابع سنة ١٠٧٦ ، وتخلى أمراء ألمانيا عن الإمبراطور ، ذهب الأخير لمقابلة البابا ، الذى كان محتمياً بقلعة كانوسا ، ووقف الإمبراطور ثلاثة أيام وسط الجليد أمام أبواب القلعة الموصـدة فى وجهه ، حتى تعطف البـابا وسمح له بالمثول بين يديه بشرط التسليم للبـابوية بكل ما تطلبه دون قيد ، ثم دخل هنرى الرابع القلعة فى ينـاير ١٠٧٧ وما أن وجد نفسه أمام البـابا حتى ارتمى على قدميه وانفجر باكيـاً وهو يقول : « اغفرلى أيها الأب المقدس » . فغفر له البـابا بعد أن فرض عليـه شروطاً قاسية وزوده بالنصح والإرشاد . وقد تـكرر هذا الموقف بعـد مائة سنة بالضبط وفى عام ١١٧٧ بين الإمبراطور فردريك بربروسا والبابا اسكندر الثالث ، حين دخل فردريك مدينة البندقيـة وقابل البابا الذى كان محاطاً بجمع حافل من الـكرادلة ، وارتمى الإمبراطور على قدمى البابا باكياً طالباً الصفح والغفران .

بشأن تفاصيل هذا النزاع انظر :

سعيد عاشور . تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ص ٣٠٧ — ٣٦٣ .

Tout : The Empire and the Papacy, pp. 122—390.

المراجع

المراجع العربية

- أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودياناتهم وثقافتهم . الجزء الأول ، الطبعه الأولى ، دار المكشوف ، بيروت، ١٩٥٥ .
- السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١) القاهرة ، ١٩٦٠ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول.
- عمر كمال توفيق : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ، ١٩٦٧ .
- نبيه عاقل : الإمبراطورية البيزنطية ، دمشق ، ١٩٦٩ .

المراجع المعربة

- أومان : الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى بدر ، القاهرة، ١٩٦٠ .
- بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ومحمود زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- ديفز : أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ .
- فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر .

المراجع الغيرعربية

— Boak : Byzantine Imperialism, in Egypt American Historical Review, XXXIV, 1928.

— Bury, J.B. : A History of the Eastern Roman Empire, London, 1912.
A History of the later Roman Empire, London, 1923.

— Cambridge Medieval History, Vol. IV, ed. Bury, Cambridge, 1926

— Cambridge Medieval History, Vol. IV, ed. Hussey, Cambridge, 1966—1967.

— Diehl et Marcais : Le monde oriental de 395 a 1081, Paris, 1936.

— Dölger, F. : Byzantine Literature C.M.H., vol. IV, part II, ed. Hussey, Cambridge, 1967.

— Dvornik F. : Constantinople and Rome, C.M.H., vol. IV, Part I, ed. Hussey, Cambridge, 1966.

— Encyclopedia Britannica, William Benton, Publisher, U. S. A. 1968.

— Ensslin, W. : The government and Administration of the Byzantine Empire, C.M.H. vol. IV, part II, ed. Hussey, Cambridge, 1967.

— Grabar, A. : Byzantine Architecture and Art, C. M. H. vol. IV, part II, ed. Hussey, Cambridge, 1967.

— Herman (E.) : The Secular churches.
C.M.H vol. IV, part II, ed. Hussey, Cambridge, 1967.

— Hussey (J.) : The Byzantine World, London, 1955.

— Justinian : Novellae, ed K.E. Zachariae von Lingenthal, Jus graeco—romanum, Leipzig, 1856 — 84.

— Lot : The End of the Ancient World and the Beginnings of the Middle Ages, London 1931.

— Moss (H.B.) : The Formation of the East Roman Empire (330 — 717), C.M.H. vol. IV, part I, ed Hussey, Cambridge, 1966.

— Moss : The Birth of the Middle Ages, Oxford, 1947.

— Obolensky,(D) : The Empire and its Northern Neighbours, C.M.H. vol. IV, part I, ed Hussey, Cambridge, 1966.

— Oman : The Dark Ages, London, 1908.

— Ostrogorsky(G): History of The Byzantine State, English Trans. by Hussey, Oxford, 1968.

— Procopius : Historia Arcana, ed. Haury, (1906) De bello Vandalico, English Trans. by Dewing.

— Rambaud,(A) : Etudes sur l'histoire Byzantine, Paris. 1912.

— Runciman, (S) : Byzantine Civilisation, Seventh Impression, Great Britain, 1975.

— Scheltema, (H.J) : Byzantine Law, C.M.H. vol. IV, part II, ed Hussey, Cambridge, 1967.

— Tout. (T.F.) : The Empire and the Papacy, London, 1924.

— Vasiliev (A.A) : History of The Byzantine Empire (324 — 1453). vol. I, Wisconsin Press. U.S.A.

— Wellesz. (E) : Byzantine Music and Liturgy, C.M.H. vol. IV, part II, ed Hussey, Cambridge, 1967.

فهرس المصطلحات اللاتينية

الواردة بالبحث

A

Aerikon	ضريبة الأيريكون
Antecessores	أساتذة القانون
Augustus	المعظم

B

Bello persico	حرب الفرس
Bellum gothicum	حرب القوط

C

Caesat	القيصر
Caesaro - Papism	الاستبداد القيصرى البابوى
Caput	رأس
Codex Justinianus	مجموعة قوانين جستنيان

D

De bello Vandalico	حرب الواندال
Digestum	الموجز

É

Ecclesiarum	الكنائس
Epitome Novellarum	مختصر القوانين الجديدة

H

Hippodromius	الملعب
Historia Arcana	التاريخ السرى
Historiarum	التاريخ

I

Imperium Romanum	السيادة الرومانية
Institutiones	الشرائع

K

Kathisma	لوج الإمبراطور

M

Magister Militum per Italiam	رئيس الجند فى إيطاليا
Magister officiorum	رئيس دواوين الموظفين

N

Novellae	القوانين الجديدة (المتجددات)
Noxae deditio	التعويض عن الضرر

O

Oikoumene	العالم المسيحى

P

Pendectae	الموجز
Praetorius	المشرف على السجن
Praepositus Sacri culiculi	كبير الحجاب

Q

Quaestor	الوزير
Quaestor Sacri Palatii	حارس القصر المقدس

S

Sacellarius	رئيس الطواشية
Sacerdotium	الهيئة الكهنوتية

مطبعة عابدين ت ٩٠٢٧٧٤ .